رواء
مجلة فكرية دورية

• البناء في زمن الهدم!
• المشروع الإيراني في المنطقة العربية كما تؤسسه نظرية أم القرى
• منهجية الفهم الصحيح للقرآن وتدبُّره
• وأقبلَ رمضان
• فاعلية الأمم المتحدة في الكوارث: إشكالات وتشوهات مستمرة

فلسطين وسوريا..
وحدة الجرح والمصير

25
العدد الخامس والعشرون
شعبان ١٤٤٥هـ - شباط/ فبراير ٢٠٢٤م

هذه المجلة

(رَواء) مجلة فكرية تُعنى بالإنتاج العلمي والدعوي والتربوي والاجتماعي، وتسعى أن تكون منارة في أرض الشام المباركة، تُشع بالعلم والمعرفة من خلال المجالات الآتية:

- الأصالة والانطلاق من ثوابت الدين والأمة، وتعزيزها في النفوس.
- بث القيم الحضارية وروح النهضة في المجتمع.
- تعزيز جانب الائتلاف وجمع الكلمة بين صفوف الأمة.
- إثراء الساحة بمقالات متميزة تلامس الواقع، في قضايا المنهج والتجديد والإصلاح.

ترحب مجلة رَواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

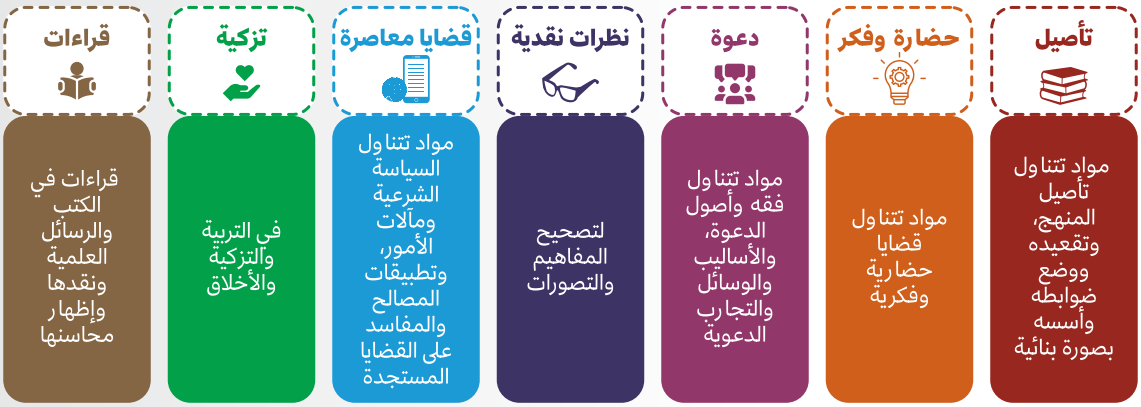

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

سياسات النشر في المجلة

١. تنشر المجلة المقالات التي تثري محاورها الأساسية.
٢. تلتزم المجلة سياسة التحرير الهادئة، وتجنب النقد الجارح وما يثير النزاعات والفتن.
٣. لا تنشر المجلة ما يجعلها طرفاً في صراعات دولية أو إقليمية أو محلية.
٤. يُحكّم المقالات الواردة للمجلة متخصصون في موضوعاتها.
٥. أن يكون البحث أصيلاً ومخصصاً للمجلة، ولم يُنشر في أيّ وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية، ولم يقدَّم إلى أيّ جهة أخرى للنشر.
٦. تنشر المقالات بالأسماء الصحيحة والصريحة لأصحابها.
٧. تلتزم المجلة بإخبار الكاتب بقرارها من النشر أو عدمه خلال شهر من استلام المقال.

فهرس الموضوعات

١ **البناء في زمن الهدم!** ٢
الافتتاحية

٢ **فلسطين وسوريا.. وحدة الجرح والمصير** ٧
أ. محمود كريّم

٣ **رؤية المفكر صالح الحُصيّن ﷺ حول المصارف الإسلامية وتشخيص التطبيقات** ١٥
د. محمد عبد الله السلومي

٤ **منهجية الفهم الصحيح للقرآن وتدبُّره** ٢٠
أ. عبد الناصر حسن صويص

٥ **المشروع الإيراني في المنطقة العربية كما تؤسسه نظرية أم القرى** ٢٧
أ. عباس شريفة

٦ **وأقبلَ رمضان** ٣٤
أ. محمود درمش

٧ **فاعلية الأمم المتحدة في الكوارث: إشكالات وتشوهات مستمرة** ٣٨
أ. نورس العبد الله

٨ **منطلقات العلاقة مع البيئة في ضوء نظرة المسلم للكون** ٤٦
د. جمال الفرا

٩ **الصهيونية ركيزة الاستعمار** ٥٣
د. علي مدني رضوان

١٠ **قراءةٌ في كتاب: «حتى لا يُستباح الحَرَم» للدكتور: عبد العزيز مصطفى كامل** ٦٠
د. فاطمة علي عبُّود

١١ **بأقلام القراء** ٧٠
مجموعة من القراء

١٢ **إذْ تَلقَّونَه بألسِنَتِكم** ٧٢
د.خير الله طالب

رواء

مجلة رَواء
دورية فكرية تصدر كل شهرين

هيئة الشام الإسلامية

أسرة التحرير

د. عماد الدين خيتي
رئيس التحرير

أ. ياسر المقداد
مدير التحرير

أ. محمود درمش
سكرتير التحرير

أ. جهاد خيتي

أ. عبد الملك الصالح

تكتب جميع المراسلات باسم رئيس التحرير، وترسل إلى:
rawaa@islamicsham.org

www.rawaamagazine.com
www.islamicsham.org
rawaamagazine

البناء في زمن الهدم!

مدخل:

قدّر الله تعالى الفتن في هذه الحياة للاختبار والتمحيص والابتلاء، ولا يخلو من هذه الفتن زمان ولا مكان، ولا يكاد ينجو من التعرّض لها أحد، وتزداد الفتن ظهورًا وشدّة في آخر الزمان؛ لذا كثر تحذير الشرع منها والإرشاد لكيفية توقّيها.

وفي هذا العصر الذي يعجُّ بركام الأفكار المتناقضة، وتتلاطم فيه أمواجُ الفتن المتتابعة، ويبلغ التأثيرُ في الأجيال أوْجَهُ عبر وسائل التواصل وقنوات الإعلام الجديد، حيث تَستهلكُ صناعةُ التفاهة وفيروسُ الترفيه والتسلية عُمرَ الإنسان ووقتَه واهتمامَه، وتستهدف إثارةُ الشهواتِ قلبَه وعاطفتَه، وتغزو الشبهاتُ والطعنُ في الثوابتِ والقيمِ عقلَه وعقيدتَه؛ تبرز ضرورةُ العناية بالأجيال الناشئة بالتأسيس الصحيح، والبناء المتين عبر برامج جادّة، ومشاريع مدروسة، تتحقّق بها صناعة الشخصية الإسلامية المتوازنة الواعية التي تجمع بين العمق في الإدراك، ومهارة التعامل مع العصر وأدواته، مع رسوخ الجذور في علوم الإسلام؛ مما يؤهّلها للنهوض بأعباءِ المسؤولية المتوجّهة إليها، وحمل همّ الإسلام ونشره والذبّ عنه، والتفاعل مع قضايا المسلمين بحسب القدرة والاختصاص.

التربية طريق التحصين والبناء:

حتى ينشأ الفرد نشأةً صحيحةً متوافقةً مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ويكتسب العلوم والمعارف والمهارات والقدرات التي تمكّنه من شقّ طريقه في الحياة بالشكل الصحيح، ويحقق أهدافه فيها، ويكون نافعًا لمجتمعه وأمّته؛ فإنّه بحاجة إلى رعايةٍ وعنايةٍ تُحقّق له النَّماء المطلوب في كلّ المجالات الروحية والعقلية والجسدية والأخلاقية والمهارية وغيرها.

ولا يتوقّف دَور التربية عند حدّ البناء والتطوّر وتحقيق المكتسبات، بل لا بدّ من التحصين من

الشرور، من خلال التعرّف عليها وإدراك خطرها وآثارها، ثمّ اكتساب المناعة ضدّها من خلال التربية الإيمانية والأخلاقية والسلوكية التي تحمي الفرد من الشرور والآفات التي باتت رياحها عاتية نتيجة الانفتاح العشوائي على العالم بطريقة جاذبة خادعة.

وعند حدوث الخلل وحصول التلوّث بشيء من هذه الشرور يأتي دور التهذيب والإصلاح والعلاج بالطرق النافعة التي تأخذ بيد العاصي وتُنقذُهُ من الغرق وتوصِلُه إلى برّ الأمان بالحكمة والأسلوب الجاذب الرفيق.

حتى ينشأ الفرد نشأةً صحيحةً، ويكتسب المعارف والمهارات التي تمكّنه من شقّ طريقه في الحياة، ويكون نافعًا لمجتمعه وأمّته؛ فإنّه بحاجةٍ إلى رعايةٍ وعنايةٍ تُحقّق له النّماء المطلوب في كلّ المجالات الروحية والعقلية والجسدية والأخلاقية وغيرها

تحديات التربية في الزمن الحاضر:

التربية في حدّ ذاتها مسألةٌ معقّدة؛ فهي تتطلّب جهدًا كبيرًا من المربّي، وعلمًا ومهاراتٍ ينبغي توفّرها فيه حتى يتمكّن من التأثير في المتربّي تأثيرًا صحيحًا وعميقًا. ويزداد الأمر صعوبة وتعقيدًا في الزمن الحاضر، الذي اتّسعت فيه البيئةُ الحاضنة للمتربي لتصبح العالمَ كلّه بكلّ ما فيه من خيرٍ وشر، وجدٍّ وهزل، وعقلٍ وتفاهة؛ مما زاد من حجم العبء التربوي، فالمعلومات التي ينبغي التعامل معها، والأخطاء التي ينبغي تصحيحها، والشبهات التي ينبغي الردّ عليها أصبحت كبيرةً جدًا، ومتنوّعة تنوّعًا هائلًا.

وزاد من تعقيد هذه المسألة: أنّ المشاركين في نشر هذه الثقافات هم من فئاتٍ متنوّعةٍ في المجتمع، ولاسيَّما فئة الشباب؛ وهذا بلا شكّ أقوى في التأثير خصوصًا فيمن هم مثلهم في العمر أو الجنس، كما أنّه يُضعف كثيرًا من تأثير المربّين مهما بلغت منزلتُهم العلمية والثقافية ومهاراتهم التربوية.

وأمرٌ ثالث يتعلّق بالتواصل، فعكوف الناس عمومًا والجيل المقصود بالتربية خصوصًا على وسائل التواصل الاجتماعي يعزلهم عن الواقع، ويُضعف التواصل الإنساني بينهم وبين الآخرين؛ مما يصعّب من مهمّة المربّين الذين يسلكون الطرق التقليدية في التربية والتعليم.

وإنّ من أهمّ ما يعين المربي في أداء رسالته التربوية، وتجاوز التحدّيات والعقبات التي تعترض طريقه أمور:

١. عناية المربّي ببناء نفسه معرفيًا وفكريًا، فكلّما كان المربّي كثيرَ العلم واسعَ الاطلاع غنيَّ الثقافة كان أقدر على التعامل مع المتربّين على اختلاف أطيافهم الثقافية وتنوّع اهتماماتهم، وكان قادرًا على الإجابة على تساؤلاتهم وحلّ مشكلاتهم، وبالتالي إقبالهم عليه وقبولهم منه.

٢. عناية المربّي ببناء نفسه روحيًا من خلال: تقوية صلته بالله تعالى بقيام الليل والذكر والتبتل والانقطاع إليه في كلّ قول أو عمل، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى، إضافة إلى الصبر مع الهجر الجميل للمخالفين.

ومن خلال هذين الأمرين فإنّ المربّي يقدّم نفسه قدوة؛ تُلهم الشباب وتوجههم نحو القيم الصحيحة.

٣. العناية باختيار الأسلوب والوسائل وأدوات الخطاب المناسبة، بعد القناعة بأنّ لكل زمن أسلوبَه ومنهجَه الذي يناسبه، وأنّ هذا العصر -بتحدّياته الكبيرة- يستدعي حسن اختيار الطريقة الأفضل في التربية لتكون جاذبة فاعلة مؤثّرة.

٤. التركيز على التعلُّم المستمر من خلال التزوُّد بالعلم النافع الذي يقرّب من الله وطاعته، ويساعد في فهم العالم بشكل أفضل ويمنح الأفراد القدرة على التكيف مع التحديات.

٥. العناية بالفطرة التي فطر الله الناس عليها من خلال تقوية هذه الفطرة وإشباع رغباتها الطبيعية بالطرق المشروعة؛ لتبقى نقيّة بعيدة كل البعد عن الانحراف.

٦. تقوية الوازع الديني في النفوس: بالتربية على الخوف من الله ومراقبته، والارتقاء بالتقوى إلى الحدّ الذي تؤتي فيه ثمارها بالكفّ عن معصيته.

٧. تعزيز القيم والأخلاق والمبادئ الإيجابية الثابتة الراسخة الأصلية المستمّدة من الوحي بشقّيه الكتاب والسنّة.

٨. بيان حقيقة الشرور المحدقة، وتسميتُها بمسمّياتها، وتعريتها ببيان ما فيها من باطل، وما تنطوي عليه من خطورة في العاجل والآجل.

٩. تحفيز التفكير الناقد: بتشجيع المتربّين على التفكير الناقد وطرح الأسئلة، وإجراء النقاشات المثمرة، وصولاً بهم إلى القُدرة على اتِّخاذ قراراتهم الخاصة استنادًا إلى قيمهم.

١٠. تعزيز الوعي الثقافي: وهو مفيدٌ في فهم الثقافات المختلفة وتقدير التنوع، والمساعدة على فهم الآخرين.

١١. تقديم البدائل: ويراعى فيها أن تكون مقابلة قدر الإمكان للممنوعات والمحظورات بحيث تلبي رغبات المتربّين النفسية والجسمية بالطرق المشروعة.

١٢. الاتصال المباشر بالمتربّين سواء بشكل مباشر أو من خلال فضاء الإنترنت؛ وذلك حتى يتمكن من التأثير فيهم وغرس القيم والمبادئ وتنميتها ومتابعتها. مع محاولة التغلّب على ضعف التواصل الإنساني نتيجة الاعتماد على الواقع الافتراضي.

١٣. تأهيل مربِّين من شرائح متنوعة من المجتمع، بحيث يكونون مقبولين لدى شرائح المجتمع التي تماثلهم ومؤثّرين في أقرانهم.

١٤. التركيز على مهارات الفهم، والتفسير، والتحليل، والنقد؛ وذلك بهدف إيجاد حصانة فكرية وأخلاقية لدى المتربّي وجعله قادرًا على التمييز بين الخير والشر، وانتقاء المضمون العلمي والفكري والذي يتوافق مع دينه وقيمه ومجتمعه.

١٥. الإيجابية في مواجهة الشبهات والمشكلات الأخلاقية والسلوكية، من خلال التوجيه البنّاء، واستشارة أهل الاختصاص في القضايا الشائكة والتشاور بشأنها قبل الإقدام على محاولة حلّها.

التربية زمن الفتنة:

حين تثور الفتن: تطيش العقول، وتزلّ الأقدام، ويقلّ العمل، ويُنسى العلم؛ لذا فإنّ من أهمّ الأعمال وأجلّها والتي بها تكون النجاة: الفزع إلى الله تعالى، والتمسّك بسنّة نبيّه ﷺ، فعن مَعقِل بن يَسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (العبادةُ في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ)[١]، ورواه أحمد بلفظ: (العبادةُ في الفتنةِ كالهجرةِ إليَّ)[٢]، وله كذلك: (العمل في الهَرْجِ كهجرةٍ إليَّ)[٣].

قال ابن العربي رحمه الله: «ووجه تمثيله بالهجرة أنَّ الزمانَ الأوَّل كان النَّاس يفرُّون فيه من دار الكفر وأهلِه إلى دار الإيمان وأهلِه، فإذا وقعت الفتنُ تعيَّن على المرْءِ أن يفرَّ بدينه من الفتنة إلى العبادة، ويهْجُرَ أولئك القومَ وتلك الحالةَ، وهو أحدُ أقسامِ الهجرة»[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله: «إنَّ الناسَ في زمن الفتن يتَّبعون أهواءَهم ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالُهم شبيهًا بحال الجاهليَّة، فإذا انفرد مِن بينهم مَن يتمسَّك بدينه ويعبُد ربَّه ويتَّبِع مراضيه ويجتنبُ مساخطَه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهليَّة إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به، متَّبعًا لأوامره مجتنِبًا لنواهيه»[٥].

والنجاة من هذه الفتن لا تكون بالحرص على الذات فقط، بل لا بدّ من العمل على نجاة الآخرين الأقرب فالأقرب، وذلك من خلال الانتقال من صلاح الذات إلى العمل على إصلاح الآخرين؛ ليكونوا ثابتين على الحق، متيقّظين للشبهات، حذرين من الوقوع في الفتن صغيرها وكبيرها، بعيدين كلَّ البعد عن الانجراف وراء الشبهات والشهوات، ولا شيء يعين على ذلك كالعلم الذي يُجلي الأمور ويكشف حقائقها، قال الحسن البصري: «إنّ الفتنة إذا أقبلت عرفها العالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل»[٦].

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٨).
(٢) أخرجه أحمد (٢٠٣١١).
(٣) أخرجه أحمد (٢٠٢٩٨).
(٤) عارضة الأحوذي (٥٣/٩).
(٥) لطائف المعارف، ص (٢٣٨).
(٦) حلية الأولياء (٢٤/٩).

والعلماء الربّانيون حريصون أشدّ الحرص على أن يكونوا مُصلحين، ويبذلون في سبيل إصلاح المجتمع وبخاصة الشباب الغالي والنفيس، ولذا نجد العديد من البرامج العلمية التربوية التي تنشأ تباعًا، وتتنافس فيما بينها بتقديم الأفضل والأكمل، ويتفاوت المقبِلون عليها من الشباب بحسب مقدرة هذه البرامج على الوفاء باحتياجاتهم وتقديم الجديد والمفيد لهم.

> **حين تثور الفتن: تطيش العقول، وتزلّ الأقدام، ويقلّ العمل، ويُنسى العلم؛ لذا فإنّ من أهمّ الأعمال وأجلّها والتي بها تكون النجاة: الفزع إلى الله تعالى، والتمسّك بسنّة نبيّه ﷺ**

برامج التربية بين النقد والعداء:

لا يخفى أن مثلَ هذه البرامج البنائية الهادفة كثيرة التفاصيل، متعدّدة الجهات، متعاقبة المراحل فلا يعدو ترتيبُها، واختيارُ مفرداتها ومراحِلها، وتحرير محتواها ومادتها أن يكون جهدًا بشريًا قابلاً للخطأ والصواب، وتتفاوت في بعضه وجهاتُ النظر، ويقبل كثيرٌ مِن تفاصيله النقدَ والتصحيح، والأخذَ والردّ.

والواجب هو النّظر إلى المحصلة العامة لهذه البرامج والأثر الكلي والغالب على نتائجها بملاحظة ما تُحقّقه مِن المصالح العظيمة في حفظ الهوية، وبناء الجيل، ونشر الجدّية، وتحفيز العاملين في الساحة، وما تدفعه مِن شرور عن المنتمين إليها، والمفاسد التي يوشك أنْ تصيبَهم لو لم يلتحقوا بركاب قافلتها، ويصعدوا إلى عربات قطارها.

> **الواجب النّظر إلى المحصلة العامة للبرامج التربوية والأثر الكلي والغالب على نتائجها بملاحظة ما تحقّقه من المصالح العظيمة في حفظ الهوية، وبناء الجيل، ونشر الجدّية، وتحفيز العاملين، وما تدفعه مِن شرور ومفاسد عن المنتمين إليها**

هناك مَن يعارض هذه البرامج وهم من أصحاب الشهوات والانحرافات الذين يأنفون مِن كلِّ داعية للفضيلة، ويتذمّرون مِن كلّ جهدٍ لإعادة صقل الشخصية الإسلامية، ويعادون كلّ برنامج لإطلاق طاقات شباب الأمة بما يخدم رسالتها ودينها ومكانتها، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

وقد يُعارضها أيضًا بعضُ مَنِ ضاقت صدورُهم أن يروا النجاح والشهرة منسوبةً إلى غيرهم، أو إلى غير أبناء مدرستهم ومذهبهم، فلم تطِب نفوسهم أن تتشكّل رموزٌ في الأمة لها أثرُها وحضورُها دون أن يكون لهم بها صلة أو لاتجاههم مصلحة أو تمكين ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]. وهذا مستلزمٌ لمراجعة النيّة، وتجريد القصد، وتحقيق الإخلاص، وقد ثبت عن الإمام الشافعي أنه قال: «وددتُ أنّ الخلقَ تعلّموا هذا العلم على ألّا يُنسب إليَّ حرفٌ منه»[1].

وقد نجد مَن يختلف مع القائمين عليها، سواء كان الاختلاف في البيئة التي انطلقوا منها، أو الاختلاف في المذهب أو الانتماء الحزبي؛ فنجده يتعامل معها بالريبة والتوجّس، بل ويشترط لقَبولها أو لمجرّد السكوت عن نقدها أن تُحقّق المواصفات التي يرضى عنها ويرى أنّها هي الحق ولا شيء سواها! وإلا فإنّه سيتّجه إلى التحذير والتشغيب، وتثبيط الشباب عن الاستفادة من تلك البرامج، حتى لو لم يجد أولئك الشباب بديلاً مقنعًا، وبرنامجًا مثمرًا؛ ومَن يتخذ مثلَ هذا الموقف يصطفّ -مِن حيث عَلِمَ أم لم يعلم- مع أعداء هذه البرامج الهادفة، وهادمي هذه الجهود التي باتت ضروريةً أو على الأقل في رتبة الحاجة الملحّة لمقاومة السيل الجارف لمكونات الهوية، وتقليل آثار طوفان وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الجديد الذي بات مهدِّدًا باقتلاع الكثير من الجذور والأسس التي يقوم عليها بناء الشخصية الإسلامية.

ولا ينفع هنا التبرير بحماية الجيل مِن أراءَ جزئيةٍ قد تؤدي إلى تفويت مصالحَ كلية، ولا التبرير بمحاولة إيجاد البدائل التي قد لا تُقارب تلك البرامج الناجحة التي بُنيت عبر سنين متعاقبة، وجهود متواردة، ولا تسدُّ عُشرَ معشار ثغرها لما حالفها من التوفيق، وكُتب لها مِن القبول في البلاد وبين العباد.

(١) المجموع شرح المهذب، للنووي (١/١٢).

هناك مَن يعارض البرامج التربوية من أصحاب الانحرافات الذين يأنفون مِن الدعوة للفضيلة، ويتذمّرون مِن إعادة صقل الشخصية الإسلامية، وقد يُعارضها بعضُ مَن ضاقت صدورُهم أن يروا النجاح والشهرة منسوبةً إلى غيرهم، أو إلى غير أبناء مدرستهم ومذهبهم

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد جاءت بجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها؛ فلا يسوغُ إطلاقُ القذائف المؤدية إلى تصدُّع بنيان هذه البرامج، والسعي في هدمِها والتخذيل عنها ما لم يتحقّق أمران، ويتوفر شرطان:

أولهما:

وجود السبب الوجيه الداعي إلى تلك الهجمات والمتمثّل في النقص الخطير، والانحراف الكبير في تلك البرامج، كأن تتبنّى المبادئَ الهدّامةَ التي لا يختلف في فسادها شخصان، ولا ينتطح عليها عنزان، ويكون مِن أهداف دعوتها وأسسها: الترويج للأفكار الضالّة الخارجة عن المدارس المعروفة لأهل السنة والجماعة، ثم يستغلق إصلاحها، ولا يمكن تداركها، ويتعذّر تغييرها وتخفيفها بتعنّت القائمين عليها من خلال إغلاق باب الإصلاح، ورفض النقد بالكلية، والاستنكاف عن النصيحة.

والثاني:

أن يوجد البديل الذي يقوم مقامها كمًّا وكيفًا، ويسدّ الثغور التي وقفت عليها، ويحمي المنتسبين إليها مِن المفاسد التي تزيد على ما يُخشى من أخطائها ونقصها.

فإذا لم يتحقّق الشرطان، وكان خيرُها غالبًا على شرِّها، ومصلحتُها تزيدُ على مفسدتها، وما تُقدمه مِن أثر وصلاح وخير لا بديل له؛ فلا مناصَ مِن ترك مهاجمتها ومحاولة تقويضها، والتوجه إلى إصلاحها، والتعاون مع القائمين عليها لتكثير خيرها، وتقليل شرها. «فقد يتعذّرُ أو يتعسّرُ على السالكِ سلوكُ الطريق المشروعة المحضة إلا بنوعٍ مِن الـمُحدَثِ لعدم القائم بالطريق المشروعة علمًا وعملاً. فإذا لم يحصل النورُ الصافي بأن لم يوجد إلا النورُ الذي ليس بصاف وإلا بقي الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجلُ وينهى عن نورٍ فيه ظلمة إلا إذا حصل نورٌ لا ظلمة فيه، وإلا فكمْ ممّن عدَل عن ذلك يخرج عن النورِ بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك؛ لما رآه في طرُقِ الناسِ مِن الظلمة»[1].

همسةٌ في أذن المربين:

الواجب على القائمين على هذه البرامج أن يُكملوا طريقهم، ويتوكّلوا على ربهم في إنجاح مقاصدهم، وأن يفتحوا باب التعاون على البرّ والتقوى، وقَبول ما يظهر لهم من حق ممّن جاء به، وفتح باب النصيحة والنقد، والسعي لتقويم المسار، وتطوير العمل، وتركيز المقررات العلمية والمنطلقات الدعوية على قواطع الدين، وثوابت الملّة، وقواعد الشريعة، والإعراض عن مواضع النزاع قدر الإمكان، والبعد عن مواطن الخلاف بين الاتجاهات الإسلامية المعتبرة، وتوجيه النقد إلى الشبهات القادحة في أصول الإسلام، والعمل على تحقيق الأخوة الإيمانية قولاً وعملاً، وبناء الجسور مع أصحاب المشاريع والبرامج العاملة في الساحة، وأن لا يفتّ في عضدهم قلةُ المعين، وخذلانُ القريب، وتجهّمُ البعيد، وأن يصبروا ويصابروا على الثغور التي يرابطون عليها، وأن لا يبرحوا جبل رماتهم اغترارًا بالغنائم العارضة، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

قد نجد مَن يختلف مع القائمين على البرامج البنائية الهادفة، بسبب اختلاف البيئة أو المذهب أو الانتماء الحزبي، ويشترط لقَبولها أن تُحقّق المواصفات التي يرضى عنها ويرى أنّها هي الحق! وإلا فإنّه سيتّجه إلى التحذير والتشغيب، والتثبيط عن الاستفادة منها، حتى لو لم يكن هناك بديل عنها، وهو بذلك يصطف مع الأعداء عَلِمَ أم لم يعلم

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٦٤).

قضايا معاصرة

فلسطين وسوريا.. وحدة الجرح والمصير

أ. محمود كريّم (*)

منذ سقوط الخلافة العثمانية لم تنعَم سورية وفلسطين بالاستقلال والأمان، إذ مرت عليهما مِحنٌ وآلام ونكبات كثيرة، بدءًا بالاحتلال الفرنسي والإنكليزي، ثم احتلال اليهود وتسلُّط النصيرية، الذين ارتكبوا بحقِّ البلدين انتهاكاتٍ وجرائم لم يشهد لها العالم مثيلاً، إلا أن أهلهما صبروا وصابروا ووقفوا في وجه المحتل، وسطّروا أروع البطولات، ولسان حالهم يقول: إن فرَّقتنا الحدود المصطنعة، إلّا أن جرحنا ومصيرنا واحدٌ.

مقدمة تاريخية:

حظيت بلاد الشام منذ القدم بأهمية ومكانة خاصة، فقد قامت فيها أعرق الحضارات، وأقدم المدن، وكثير من الرسل بعثوا في بلاد الشام.

ونالت الشام أهمية كبرى في العصر الإسلامي، فكانت أول بلد توجه إليه الفتح، وبشّر النبي ﷺ بأنها أرض الملاحم وفسطاط المسلمين في آخر الزمان[1]، ثم كانت مهد أول دولة إسلامية بعد عصر الخلافة الراشدة، ومنطلق فتوحات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ورغم ما عانته بلاد الشام من تقسيم إلى دويلات باتفاقية سايكس بيكو، إلا أنّها اشتركت في مصير واحد، وعانت من جرح واحد، وعدو اختلف في العِرق وتشابه في الأفعال.

في هذا المقال سنتناول ما مرّت به الشام من محن وآلام خلال قرن من الزمان، بدءًا من الاحتلال الإنكليزي والفرنسي، ثم تسلّط اليهود والنصيرية والرافضة.

بلاد الشام زمن الاحتلالين البريطاني والفرنسي:

دخل المحتلون بلاد الشام بعد انفراط عقد الخلافة العثمانية، وظلّوا فيها حتى منتصف القرن

(*) خرّيج جامعة حلب، كاتب وباحث.

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد (٢١٧٢٥) والطبراني (٦٣٧/١٣).

العشرين[١]، وخلال تلك المدّة ارتكبوا الكثير من الممارسات الإجرامية بحقّها وأوّلها تقسيم البلاد والتفريق بين شعوبها، وإثارة النعرات القومية والعصبيات المناطقية بين أبنائها. كما عملوا على تفتيت المكون الاجتماعي والسياسي بتسليط الأقليات على مقاليد الحكم، ففصلوا جزءًا للنصارى باسم دولة لبنان الكبير، وسلّطوا النصيرية[٢] في الساحل السوري غربًا، ومكّنوا الدروز في جبل العرب جنوبًا، وعملوا على جعل هؤلاء جميعًا قوّة مواجهة للأغلبية السنّية، ويظهر ذلك من خلال رسالة للقنصل الفرنسي في سوريا عام (١٩١٤م)، أي قبل احتلال الفرنسيين سوريا بحوالي عقد من الزمان! وفيها: «مهما تكن ضرورة مراعاة الدين الإسلامي الذي تنتمي إليه الأغلبية الساحقة من السكان، ليس من رأيي التقليل من أهمية الدور الذي تقوم به بقية الأديان والطوائف، سواء كلّ على حدة، أو بعضها ضد بعضها، أو كلها في مواجهة الحركة الإسلامية»[٣].

وكان الملمح الأكبر للاحتلالين الإنكليزي والفرنسي لبلاد الشام: التدمير المنهج لجميع مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية، حيث عملوا على إفقار الشعب ونهب خيراته، ومحاربة التعليم[٤]، وإعمال القتل والتدمير الذي لم يستثنِ بشرًا ولا حجرًا ولا شجرًا، فقد أمطرت مدفعية الفرنسيين دمشق ودمّرت أحياء بأكملها، وفعلت بريطانيا ذات الشيء عندما دخلت القدس وما حولها[٥].

هذه الهمجية تغذّيها أحقاد دفينة تمتد جذورها إلى الحملات الصليبية، فحين دخل الجنرال غورو بيروت ألقى خطاباً جاء فيه: «إنني سليل الصليبيين الذين دوّخوا هذه البلاد في غابر الزمان، وقد أتيت إلى هنا لأتمم ما تركه أولئك الأبطال»[٦].

لكن الإنكليز والفرنسيين لم يجدوا الطريق مفروشًا بالورود، بل وقف الناس في وجههم مدافعين متصدّين، في معركة ميسلون (١٩٢٠م)، وثورات الشمال السوري (١٩٢٠م)، ثم الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥م) التي اشتركت فيها معظم المدن، وكان للعلماء وطلابهم دور محوري فيها، وظلّت الثورات والانتفاضات تلاحقهم حتى انجلوا عنها عام (١٩٤٦م). وفي فلسطين سطّر أهلها بطولات عظيمة بدءًا بثورة البراق (١٩٢٩م)، ثم جهود الشيخ عزّ الدين القسام الذي ظلّ يواجه الإنكليز حتى استشهد قرب جنين عام (١٩٣٥م) ليشعل استشهاده الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩م)، ومن بعدها الثورات والانتفاضات المتلاحقة والمستمرة حتى الآن[٧].

> **كان الملمح الأكبر للاحتلالين الإنكليزي والفرنسي لبلاد الشام: التدمير المنهج لجميع مظاهر الحياة الدينية والاجتماعية، حيث عملوا على إفقار الشعب ونهب خيراته، ومحاربة التعليم، وإعمال القتل والتدمير الذي لم يستثنِ بشرًا ولا حجرًا ولا شجرًا**

بلاد الشام والاحتلالين الصهيوني والنصيري:

أولاً: فلسطين والاحتلال الصهيوني:

بدأ الوجود الفعلي للصهاينة في فلسطين مع وعد بلفور (١٩١٧م)، الذي تعهّدت فيه بريطانيا بإقامة وطن قومي لليهود، ولتحقيق فكرة جمعهم في فلسطين كان لا بد من حثّهم وتشجيعهم على الهجرة إليها، فبدأ الصهاينة بالعزف على وتر المظلومية، وادّعوا أنّ اليهود في أوروبا مضطهدون،

(١) دخلت فرنسا سوريا عام ١٩٢٠م، وخرجت منها مدحورة عام ١٩٤٦، بينما دخلت القوات الإنكليزية أراضي فلسطين عام ١٩١٧م، وخرجت منها عام ١٩٤٨م بعد أن سلمتها للصهيونية.

(٢) هذه الطائفة تُعرف في جميع المصادر التاريخية بالنصيرية، لكن الاستعمار الفرنسي أطلق عليهم تسمية العلويين لزيادة قبولها في الوسط السني، واعتمدت الطائفة هذه التسمية بعد ذلك.

(٣) بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، لوجيه كوثراني، ص (٢٠٠).

(٤) هناك الكثير من المراجع التي صورت تفاصيل الحالة الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام عمومًا زمن الاحتلالين الفرنسي والبريطاني؛ منها: بلاد الشام مطلع القرن العشرين لوجيه كوثراني، ومرآة الشام لعبد العزيز العظمة، وإدارة الاقتصاد السوري زمن الانتداب الفرنسي لمحمد علي الصالح، وتاريخ دمشق المنسي لسامي مروان مبيض، وغيرها الكثير.

(٥) الكتب التي أرخت لتلك الحقبة وثقت الكثير من جرائم الاحتلال؛ منها على سبيل المثال: دمشق تحت القنابل، لأليس بولو، ترجمة إحسان هندي، وسوريا الشهيدة لشكيب أرسلان، وغيرها.

(٦) مرآة الشام، لعبد العزيز العظمة، ص (٢٧١).

(٧) للاطلاع على كفاح أهالي الشام بوجه المحتل الفرنسي والبريطاني، ينظر: كفاح الشعب العربي لإحسان الهندي، الإسلام وحركات التحرر لشوقي أبو خليل، وغيرها.

وهذا الاضطهاد لا ينتهي إلا بإقامة دولة لليهود[١].

ولم يقف الأمر عند هذه الادعاءات، بل نفّذوا خطوات أكثر وحشية، إذ رفض زعيمهم «بن غوريون» فكرة نقل الأطفال اليهود إلى إنكلترا لإنقاذهم من أيدي النازيين، وقال: «إنّ من الأفضل أن يُذبح نصفهم على يد النازيين، من أجل إرسال النصف المتبقي ليكونوا مستوطنين في مشروعه الاستيطاني!»[٢].

» جرائم الصهاينة في فلسطين:

يقول المفكر والباحث اليهودي إسرائيل شاحاك: إن الجرائم التي قام بها الصهاينة بحق الفلسطينيين مشابهة لتلك التي قام بها النازيون، مؤكّدًا أنّ الفلسطينيين ليسوا ضحية سياسات استعمارية واستبدادية فحسب، بل ضحيّة أيديولوجية عرقية دينية ذات حضور وتأثير واسعين[٣]. ومن أبرز تلك الجرائم:

١. **احتلال الأراضي وتهجير الأهالي:** عيّنت بريطانيا منذ احتلالها فلسطين الصهيوني هربرت صمويل مندوبًا ساميًا، الذي قام بخطوات عديدة لتسهيل انتقال اليهود وسيطرتهم على البلاد، منها مثلاً: تنظيم دورات للألعاب الرياضية، حيث يدخل بموجبها عشرات الآلاف للمشاهدة، ثم يبقون في فلسطين، ويمنحون الجنسية بتسهيلات من الاحتلال البريطاني![٤]. كما سيطروا على مساحات شاسعة من الأراضي الفلسطينية عبر مناقصات لشركات يهودية، أو من خلال هِباتٍ ومِنَح لجمعيات ومنظمات «خيرية». وهكذا تضاعفت أعداد اليهود من (٥٥) ألفًا عام (١٩١٨م) إلى (٦٥٠) ألفًا عام (١٩٤٨م) مع نهاية حقبة الانتداب البريطاني.

٢. **المجازر المروّعة:** ارتكب الصهاينة في فلسطين الكثير من المجازر بحقّ المدنيين العزّل، من أبرزها: مجازر دير ياسين واللد والطنطورة في حيفا (١٩٤٨م)، ومجزرة كفر قاسم وخان يونس (١٩٥٦م)، وغيرها كثير[٥]، وما يميز تلك المجازر هو الصورة المروعة لتنفيذها حيث استخدم فيها الحرق والذبح وبقر بطون الحوامل، والتشفّي والتمثيل بالجثث، ولم يسلم من تلك الوحشية حتى الأطفال؛ كان الهدف من هذه الوحشية: تهجير الفلسطينيين عن طريق إثارة الذعر بينهم ليهربوا من قراهم ومدنهم ثم يستولي الصهاينة عليها.

٣. **السرقة والنهب:** لم تكتف العصابات الصهيونية بسرقة الأراضي، بل سرقوا كلّ ما طالته أيديهم أثناء الاحتلال، ولم تسلم من سرقاتهم حتى المساجد والكنائس. يذكر المؤرخ اليهودي «آدم راز» تفاصيل تقرير لوزارة الأقليات دوّنت خلاله عدة حالات لسرقة الكنائس، من الأثاث والمصابيح وكؤوس التقديس الفضية وحتى الصلبان وبدلات رجال الدين! ويثبت «راز» عمليات السرقة والنهب على لسان أكبر زعماء اليهود «بن غوريون» الذي قال في اجتماع للجنة المركزية لحزب «مباي» الذي أسس الدولة الصهيونية: «اتضح أنّ معظم اليهود لصوص، أقول هذا عن قصد وببساطة، لأنّ هذا صحيح للأسف»[٦].

> **«إن الجرائم التي قام بها الصهاينة بحق الفلسطينيين مشابهة لتلك التي قام بها النازيون، مؤكّدًا أنّ الفلسطينيين ليسوا ضحية سياسات استعمارية واستبدادية فحسب، بل ضحيّة أيديولوجية عرقية دينية ذات حضور وتأثير واسعين»**
> المفكر والباحث اليهودي إسرائيل شاحاك

» النضال في وجه اليهود:

وقف الشعب بوجه الجرائم الوحشية التي ارتكبها اليهود، وتمسّكوا بقضيتهم وأرضهم، وشارك المسلمون من مختلف الأقطار في الدفاع عن فلسطين ومقدّساتها، وسلكوا في سبيل ذلك مختلف الطرق؛ منها:

(١) وصف المفكر اليهودي إسرائيل شاحاك هذه الرواية الصهيونية بأنها مزيفة والغرض منها هو التضليل والتلاعب فحسب.
(٢) دولة الإرهاب، كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب، لتوماس سواريز، ترجمة محمد عصفور، ص (٤١).
(٣) فكرة إسرائيل، تاريخ السلطة والمعرفة، للكاتب اليهودي إيلان بابيه، ترجمة: محمد زيدان، ص (١٠١).
(٤) العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين، ص (٢٢٤).
(٥) المجازر أكثر من أن تحصى، ومنها أيضًا: مجزرة المسجد الأقصى (١٩٩٠م)، ومجزرة الحرم الإبراهيمي (١٩٩٤م) ومجزرة الشجاعية (٢٠١٤م)، ومجزرة مشفى المعمداني في غزة في أكتوبر (٢٠٢٣م)
(٦) يعرض المؤرخ اليهودي آدم راز في كتابة «نهب الممتلكات العربية في حرب ١٩٤٨م» وقائع وشهادات كثيرة جدًا حول عمليات السرقة التي قام بها اليهود، وهي في مجملها تثبت همجيتهم وأسلوبهم البربري، كما أنها تثبت التشابه الكبير بينهم وبين قوات نظام الأسد، والميليشيات الطائفية المساندة لها في سوريا.

١. **الثورات المتلاحقة:** اشتعلت شرارة الثورات في فلسطين منذ الشعور بأنّ هناك مؤامرة تحاك على الأقصى، فانطلقت ثورة البراق (١٩٢٩م) زمن الانتداب البريطاني، تبعتها ثورات أخرى لا تقلّ ضراوة عنها، كثورة عزّ الدين القسام (١٩٣٥م)، والثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩م)، ثم انتفاضات الأقصى المتلاحقة (١٩٨٧ – ٢٠٠٠م)، استشهد فيها الآلاف، لكنّها أثبتت صلابة الشعب، واستعداده للتضحية بروحه في سبيل الله دفاعًا عن مقدّساته.

٢. **ابتكار وسائل لمواجهة العدوّ:** نتيجة نقص السلاح والعتاد اللازم للمعارك اضطر الفلسطينيون إلى ابتكار وسائلَ مختلفة للدفاع والمواجهة، منها العمليات الاستشهادية والزجاجات الحارقة والمقلاع والحجارة التي أذاق الأطفال من خلالها اليهود الويلات، وزرعوا في قلوبهم الرعب، ومن الوسائل أيضًا: الأنفاق، وهي ابتكار عبقري ظهر في غزّة المحاصرة منذ أكثر من ٢٠ عامًا، ورأينا ما فعلته الأنفاق بآلة العدو الصهيوني خلال عدوانهم الأخير.

٣. **تحويل القضية الفلسطينية إلى قضية عالمية:** نجحت المقاومة على مدار قرن من الزمان في جعل قضية فلسطين والأقصى رابطًا يوحّدهم، وتصديرها وتعريف العالم بها، حتى أظهر الكثير من الشعوب دعمهم ومساندتهم لها، وهذا ما رأيناه بوضوح في حرب غزّة الأخيرة، والمظاهرات الشعبية الحاشدة في مختلف دول العالم، بالإضافة إلى حملات المقاطعة الشعبية التي أثبتت نجاحها وفاعليتها.

ثانيًا: النصيريون في سوريا:

يتركّز وجود النصيريين بالشام في المناطق الجبلية الوعرة التي سكنوها اعتزالاً عن محيطهم السنّي، ومع ذلك فتاريخهم حافل بالعمالة والغدر بأهل الشام، إذ لم يتركوا عدوًّا إلا حالفوه على المسلمين ووقفوا بجانبه، فقد ساندوا الصليبيين والتتار والمغول والبرتغاليين واليهود، وأعانوهم على دخول البلاد والفتك بأهلها[١].

وفي العصر الحديث هم مثال صارخ شاهد على ذلك، فقد وصل ممثلهم حافظ أسد إلى السلطة عبر انقلاب عام (١٩٦٣م) على الحكومة المنتخبة، وما إن وصل إلى السلطة حتى مارس حكمًا عسكريًّا استبداديًّا، ثم التفت إلى تثبيت حكمه عبر سلسلة من الممارسات القمعية الوحشية، فأعلن حالة الطوارئ التي استمرت طوال مدة حكمه، ليتسنّى له فعل ما يشاء دون محاسبة، وتحت غطاء قانون الطوارئ ارتكب بحق السوريين جرائم أكثر من أن تحصى، نشير إلى أبرزها فيما يلي:

١. **تمكين الطائفة في الحكم:** عمد حافظ أسد بعد أن نصّب نفسه رئيسًا للجمهورية إلى تمكين أبناء طائفته في مفاصل الحكم، وبدأ بالجيش والاستخبارات، فسرّح الآلاف من كبار الضباط السنّة، وعيّن مكانهم ضباطًا من طائفته، ثم سمح لأبناء طائفته بالتمدّد في مختلف مفاصل الدولة، فتسلّموا زمام الأفرع الأمنية، والمؤسسات الاقتصادية، كما عيّن أخاه رفعت نائبًا له، وقائدًا لسرايا الدفاع التي كانت حينها الذراع العسكري الأشهر والأكثر وحشية ودموية، والتي كان لها دور كبير في قمع الثورات التي شهدتها سوريا أيام الثمانينات[٢].

٢. **تسليم الجولان:** يُعدّ سقوط هضبة الجولان وتسليمها لإسرائيل عام (١٩٦٧م) من أقبح وأفظع الجرائم، حيث صدرت الأوامر للجيش بالإخلاء والانسحاب العاجل، وتركهم تحت مرمى طائرات العدوّ وقذائفه، ثم أذاع حافظ أسد -وكان حينها وزيرًا للدفاع- بيانًا أعلن فيه سقوط الجولان بيد الصهاينة قبل سقوطها على أرض الواقع بيومين[٣]، وما زالت بيد الصهاينة حتى اليوم.

(١) هناك الكثير من الكتب التي تحدثت عن غدر النصيرية بمحيطهم السني، ومساندة الأعداء عليهم، منها: رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية بعنوان «النصيرية طغاة سوريا» طبعتها دار الإفتاء في الرياض، وكتاب «وجاء دور المجوس» للشيخ محمد سرور زين العابدين، و«حدود الدم» لأحمد الفولي، و«الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» لأحمد الخطيب، و«الباكورة السليمانية في كشف أسرار الطائفة النصيرية» لسليمان الأضني الذي قتله النصيريون بعد نشر ذلك الكتاب.

(٢) للتوسع ينظر: «سوريا الدولة المتوحشة» لميشيل سورا، يروي فيه بالتفاصيل طريق الدم الذي سلكه النصيريون للسيطرة على الحكم.

(٣) للاطلاع على تفاصيل المعركة يمكن الرجوع إلى كتاب «سقوط الجولان نسخة مصورة» لخليل مصطفى الذي كان ضابطًا في الاستخبارات قبل سقوط الجولان، ثم تم تسريحه رفقة طائفة كبيرة من الضباط السنة، وفي الكتاب يسرد تفاصيل تلك الخيانة التي قام بها حافظ الأسد بالأدلة والبراهين، وهناك مقابلة مع د. محمود جامع وهو أحد مساعدي أنور السادات، يكشف فيها كيف باع حافظ أسد الجولان لإسرائيل مقابل ٥٠ مليون دولارا، وهي منشورة في يوتيوب لمن أراد الاطلاع عليها.

٣. **المجازر والتنكيل بالمسلمين على مدار نصف قرن:** ارتكب النصيرية على مدار نصف قرن من الزمان الكثير من المجازر بحق أهل السنة في سورية، بدءاً بمجازر السبعينات والثمانينات على يد حافظ الأسد وأخيه رفعت، وحتى مجازر الثورة السورية على يد بشار وميليشياته الطائفية، والتي لا تزال مستمرة حتى الآن. وفي الفقرة التالية مزيد بيان لتلك المجازر.

تاريخ النصيريين بالشام حافل بالعمالة والغدر بأهل الشام، إذ لم يتركوا عدوًّا إلا حالفوه على المسلمين ووقفوا بجانبه، فقد ساندوا الصليبيين والتتار والمغول والبرتغاليين واليهود، وأعانوهم على دخول البلاد والفتك بأهلها

» النضال في وجه النصيرية:

لم يقف الشعب السوري مكتوف الأيدي وهو يرى بلاده تستباح أمام عينيه، فظهرت حركات الاحتجاج والرفض في حلب ودمشق في سبعينيات القرن الماضي، بتشجيع من عدد من علماء ومشايخ سوريا، وتحوّل العديد منها إلى ثورات، شأنها شأن الثورة على اليهود في فلسطين، ثم بدأت أحداث مدرسة المدفعية في حلب في الثمانينات، وانتقلت إلى حماة، حيث خرج أبناؤها في وجه حافظ أسد، إلا أنّه قمع تلك التحركات، وارتكبت قوّاته مجازر عديدة في حلب، أبرزها كان صبيحة عيد الفطر المبارك عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) في حي المشارقة، أمّا حماة فقد استباحتها سرايا الدفاع بزعامة رفعت الأسد عام (١٩٨٢م)، فحاصرت المدينة (٢٧) يومًا، وارتكبت فيها مجازر مروّعة، راح ضحيتها أكثر من (٤٠) ألف مدني في إحصائيات غير رسمية، قضى معظمهم ذبحًا بالسكاكين ورميًا بالرصاص، ثم قامت تلك القوات بالتمثيل بالجثث.

في عام (٢٠١١م) انطلقت شرارة الثورة السورية السلمية التي طالبت بحقوق الشعب بالحرية والكرامة والعيش الكريم، إلا أنّ نظام الولد حذا حذو نظام الأب في الإجرام، وارتكب بحقّ الشعب السوري مجازر هي الأفظع في العصر الحديث، فقد قابل المتظاهرين بالاعتقالات، ثم بدأ التعذيب الشديد والقتل وانتهاك الحرمات، حتى إذا ألجأ الشعب إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم وأعراضهم؛ راح يقتلهم بمختلف الأسلحة، ولما شعر بعجزه عن مجابهة إرادة الشعب استعان بحليفته إيران وميليشياتها الطائفية، فارتكبوا جميعًا مجازر مروّعة، كان من أبرزها مجزرة الكيماوي في الغوطة الشرقية عام (٢٠١٣م)، التي راح ضحيتها أكثر من (١٥٠٠) شهيد، وخلال (١٢) عامًا من الثورة قتل النظام وميليشياته أكثر من مليون سوري، وهجّروا أكثر من (١٠) ملايين شخص من منازلهم، بالإضافة إلى مئات الآلاف من المعتقلين والمغيّبين قسريًّا، كما أنّ حوالي ٧٠٪ من سوريا أضحت مدمّرة. وهي جريمة لم يشهد لها مثيل منذ الحرب العالمية الأولى، والأغرب من ذلك أنّ المجرم لا يزال حتى الآن حرًّا طليقًا يحمل راية المقاومة والممانعة![1].

لم يقف الشعب السوري مكتوف الأيدي أمام الاحتلال النصيري؛ فقد ظهرت حركات الاحتجاج والرفض في سبعينيات القرن الماضي، بتشجيع من عددٍ من علماء ومشايخ سوريا، وتحوّل العديد منها إلى ثورات، ثم أحداث الثمانينيات، إلى أن انطلقت شرارة الثورة السورية عام (٢٠١١م) والتي لا زالت أحداثها حتى الآن

ميليشيا أمل وحزب الله في لبنان:

تعود بداية التغلغل الرافضي المنظّم في لبنان إلى خمسينات القرن الماضي على يد موسى الصدر، وهو معمّم إيراني المولد والجنسية، وصل إلى لبنان عام (١٩٥٨م)، ومنحه الرئيس اللبناني فؤاد شهاب الجنسية اللبنانية بموجب مرسوم رئاسي، مع العلم أنّ الحصول على الجنسية لغير النصارى في لبنان كان حينها أمرًا في غاية الصعوبة.

في بداية السبعينات أنشأ الصدر حركة المحرومين، وجعل لها شعارات برّاقة كالحرّية والمساواة والعدالة، وأنشأ لها جناحًا عسكريًا سرّيًّا باسم «أمل».

(١) للاطلاع على تفاصيل أكثر، يمكن الرجوع لسلسلة دراسات لمركز الحوار السوري حول تغلغل الميليشيات الطائفية في سوريا، وانتهاكاتها بحق الشعب السوري في مختلف المجالات، وهي بعنوان: «التغلغل الإيراني في سوريا». وكتاب «الاحتلال الإيراني لسوريا» لمطيع البطين.

حاول الصدر في بداية مشواره في لبنان أن يظهر التقيّة، بادعائه الولاء الخالص للبنان، ونفي صلته بالولي الفقيه في إيران، كما ادّعى جاهزية حركته للانضواء مع بقية القوات اللبنانية، إلا أنّ تلك الشعارات والادعاءات سرعان ما تبيّن كذبها، وأظهر الصدر وجهه الباطني مع دخول جيش النظام السوري إلى لبنان، فأصدر فتوى اعتبر فيها النصيرية طائفة من الشيعة، وعيّن لهم مفتيًا خاصًّا بهم، كما أمر قواته بالانشقاق عن الجيش اللبناني والالتحاق بالجيش السوري، ولم يكتفِ بذلك، بل هاجم منظّمة التحرير الفلسطينية، وادّعى أنها تسعى لقلب الأنظمة العربية، ودعا إلى وقف عملها وإخراجها من لبنان، وحين افتضح أمره وانكشفت عمالته هرب إلى دمشق بعد أن نجى من محاولة اغتيال استهدفت بيته، واحتمى بنظام الأسد.

بعد انكشاف أمر «منظّمة أمل» ووحشيتها لم يعد بمقدور إيران المقامرة بها، فكان لا بد من ظهور تيار آخر يكمل المشروع الشيعي المجوسي في لبنان، فظهر حسن نصرالله، خرّيج حوزات قم، وأعلن تشكيل ما يسمى «حزب الله»، وهو لا يختلف عن سابقه في العمالة والانتماء للولي الفقيه[1].

تعود بداية التغلغل الرافضي المنظّم في لبنان إلى موسى الصدر الذي وصل إلى من إيران، وأنشأ حركة المحرومين في السبعينيات، وأنشأ لها جناحًا عسكريًا سرّيًّا باسم «أمل»، التي ارتكبت الفظائع في حق الفلسطينيين، وحين افتضح أمره هرب، وظهر حسن نصر الله خرّيج حوزات قم، وأعلن تشكيل ما يسمى «حزب الله» بديلاً عنها

» جرائم ميليشيا أمل وحزب الله في لبنان:

١. **الخيانة والغدر ببقية المكونات الشعبية:** قامت الحركات الرافضية بمُجملها على مبدأ الغدر والخيانة بالمحيط الذي تنشأ فيه، فقد كانت أول من طالب بقوات طوارئ دولية تتمركز في الجنوب اللبناني، وزعمت أنّ لبنان في هدنة مع إسرائيل ولا يجوز أن يخرقها الفلسطينيون[2]! فحرمت المقاومة الفلسطينية من جبهة شمال فلسطين وحرصت على تأمينها ضد أيّ عمل فدائي طيلة عقود.

أمّا حسن نصر الله فقد بدأ -منذ تمكّنت قواته في لبنان- بإثارة الخلافات وممارسة الاستقواء على بقية المكوّنات السياسية والدينية والوطنية، ومنع ظهور أي شخصية بارزة منها يمكن أن تحظى بقبول الشعب، وما إن تظهر شخصية توافقية سنّية إلا ودبرت لها عملية اغتياله بالتعاون مع نظام الأسد.

٢. **التعاون مع إسرائيل:** برعت الميليشيات الشيعية عمومًا في إطلاق الشعارات الرنانة، ومن أبرزها «عداوة إسرائيل»، إلا أنّ أفعالهم على أرض الواقع كانت تثبت عكس ذلك تمامًا، فقد نشرت صحيفة «جيروزاليم» العبرية في عددها الصادر بتاريخ (٢٣-٥-١٩٨٥): «إنّه لا ينبغي تجاهل مصالح (أمل) وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل.. إنّ إسرائيل ترددت كثيرًا في تسليم (أمل) مهمّة الحفاظ على الأمن على الحدود اللبنانية، وإنّ الوقت قد حان لأنْ تعهد لها بهذه المهمّة».

٣. **مجازر المخيمات الفلسطينية:** قامت الميليشيات اللبنانية من الموارنة والدروز، وبمشاركة من الميليشيات الشيعية ونظام الأسد وبدعم غير مباشر من إسرائيل بارتكاب مجازر دامية بحقّ الفلسطينيين في لبنان، وكان من أشدّها قسوة مجزرتا تل الزعتر (١٩٧٦م) وصبرا وشاتيلا (١٩٨٢م)، اللتان راح ضحيتهما آلاف الفلسطينيين واللبنانيين، بعد أن جوّعوهم وفرضوا حصارًا خانقًا عليهم، وتفننوا في قتلهم وذبحهم[3].

٤. **مجازر «حزب الله» في الثورة السورية:** منذ انطلاق الثورة السورية وقفت ميليشيا حزب الله إلى جانب حليفها نظام الأسد، وانخرطت في العمليات العسكرية ضدّ الشعب السوري، وخلال عقد من الزمن ارتكبت بحقّ السوريين مجازر عديدة في مختلف المدن السورية، مجازر مغلّفة بأحقاد باطنية، مصحوبة بشعارات طائفية، لم

(١) للاطلاع على تفاصيل تغلغل المجوس في أرض الشام ينظر: «وجاء دور المجوس»، و«أمل والمخيمات الفلسطينية» للشيخ محمد سرور زين العابدين.

(٢) أمل والمخيمات اللبنانية، ص (٣٤).

(٣) لمعرفة وقائع تلك المجازر ينظر: مخيم تل الزعتر وقائع المجزرة المنسية لمحمد داوود علي، وأمل والمخيمات الفلسطينية.

يستثنوا منها النساء ولا الشيوخ ولا الأطفال[1]، ولن يغيب عن مخيلة السوريين مشهد ميليشيا الحزب عندما دخلوا القصير بريف حمص، وبادروا إلى رفع الأذان الشيعي، ورفعوا راية الحسين -زعموا- فوق المسجد الكبير في المدينة، وكذا فعلوا في العديد من المدن التي دخلوها.

قامت الحركات الرافضية بمُجملها على مبدأ الغدر والخيانة بالمحيط الذي تنشأ فيه، فقد كانت أول من طالب بقوات طوارئ دولية تتمركز في الجنوب اللبناني، وزعمت أنّ لبنان في هدنة مع إسرائيل ولا يجوز أن يخرقها الفلسطينيون! فحَرَمَت المقاومةَ الفلسطينية من جبهة شمال فلسطين وحرصت على تأمينها ضد أيّ عملٍ فدائيٍّ طيلة عُقود

التشابه بين الصهاينة والنصيرية في بلاد الشام:

رغم الاختلاف العرقي والديني بين اليهود والنصيرية والرافضة إلا أنّ الناظر في مسيرة إجرامهم في بلاد الشام يرى تشابهًا على مختلف الصعد، ولتعذّر الإحاطة بها كلّها سنشير إلى أهمها في النقاط الآتية:

١. **الكره المشترك لأهل السُنّة:** واعتبارهم العدو الأول، فمعاركهم الفعلية ومجازرهم كانت بحقّ أهل السنة من أبناء الشام فحسب، أما المناوشات بينهم فهي محدودة وقابلة فورًا للاحتواء.

٢. **التهجير والتغيير السكاني (الديمغرافي):** كما وقع سابقًا من تهجير الفلسطينيين من بلداتهم، وتهجير أبناء حلب ودمشق وحمص وباقي المدن السورية الثائرة وإحلال الميليشيات الطائفية مكانهم، وما نراه اليوم من محاولة تهجير أهل غزة إلى سيناء مثال واضح على ذلك أيضًا.

٣. **الغدر والخيانة بالمقرّبين والحلفاء:** وهي سمة وسجيّة من أبرز سجايا اليهود في الماضي والحاضر، وهي سمة وسجيّة للرافضة والنصيرية كذلك، وقد ذكرنا كيف غدر الصدر بحلفائه اللبنانيين، وغدر حافظ أسد بفلسطين التي يدّعي نصرتها، يقول إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق: «إن إسرائيل لا تجد سببًا يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغّل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين، فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا»[2].

٤. **الوحشية:** وهي السمة البارزة في حروب اليهود والنصيرية والرافضة تجاه خصومهم، حيث يتفننون بالقتل بين ذبح وحرق وإعدامات جماعية وتعذيب للأطفال الصغار والنساء قبل الكبار، وقد تواردت الكثير من الروايات عمّن نجا من عمليات الإعدام التي قام بها اليهود في فلسطين وميليشيات النظام في سوريا من ذبح للأطفال والرضع أمام آبائهم وأمهاتهم، واغتصاب النساء والفتيات أمام أهاليهم، والتشفّي بكبار السن وإهانتهم وتعذيبهم ثم قتلهم.

٥. **سردية المظلومية:** وهي أمر متجذر في عقيدتهم، فاليهود احتلوا فلسطين لأنّها في عقيدتهم أرض الميعاد التي سيعود إليها مسيحهم فاتحًا ويخلّصهم من الظلم الذي لحق بهم، كما نجد المظلومية حاضرة في العصر الحديث، من ادعاء المحرقة على يد هتلر، إلى تنكيل الأوروبيين بهم، ثم ادعائهم قيام الفلسطينيين بالاعتداء عليهم. أمّا الرافضة فالمظلومية جزء جوهري من عقيدتهم أيضًا، بدءًا بمظلومية الإمام الحسين، وانتهاء بانتظار المهدي الذي سيخلّصهم من ظلم النواصب (أهل السُنّة)، وفي العصر الحديث نجد نظام الأسد وحلفاءه يردّدون مرارًا وتكرارًا عبارة المؤامرة الكونية التي تحاك ضد نظامهم المانع!

٦. **إطلاق الشعارات المزيفة:** كشعار: الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وقد أثبتت أحداث غزّة الأخيرة أنّه جيش جبان لا يستطيع النجاة من أسلحة المجاهدين المصنوعة محلّيًا، وكالشعار الذي يردده الرافضة (الموت لإسرائيل) وهدفهم المتاجرة بالقضية الفلسطينية ليس إلّا.

(١) أعدموا أكثر من ٢٠٠ مدني وذبحوهم بدم بارد، ثم ألقوهم في بئر ماء في قرية رسم النفل بريف حلب، وقتلوا أكثر من ٨٠٠ مدني في داريا بريف دمشق، كما أعدموا أكثر من ٢٠٠ مدني ثم أحرقوا جثثهم في دير بعلبة بريف حمص، وحتى مخيمات الفلسطينيين في سوريا كان لها نصيب من مجازرهم، حيث تم قتلهم وتشريدهم وتدمير مخيماتهم.

(٢) وجاء دور المجوس، ص (٤١٨).

رغم الاختلاف العرقي والديني بين اليهود والنصيرية والرافضة إلا أنّ الناظر في مسيرة إجرامهم في بلاد الشام يرى تشابهًا على مختلف الصُّعُد: الكُره المشترك لأهل السُنّة، والتهجير والتغيير السكاني (الديمغرافي)، والغدر والخيانة بالمقرّبين والحلفاء، والوحشية، وسردية المظلومية، وإطلاق الشعارات المزيفة

أوجه التشابه بين أهل سوريا وفلسطين في مواجهة الصهاينة والنصيرية:

١. **العقيدة الراسخة والصبر والثبات أمام العدو:** رغم كل الظلم والألم الذي مر بهم، مع الثقة بأنّ النصر من الله، وأنّ بعد العسر يسرًا.

٢. **التفوق على العدو بالأخلاق والمبادئ:** وهذا أهم ما يميز جهاد أهل سوريا وفلسطين، وقد رأينا خلال أحداث غزة الأخيرة الطريقة الكريمة التي تعامل بها المجاهدون مع الأسرى اليهود، في صورة تعكس تعاليم الشريعة الإسلامية الراقية، في مقابل الوحشية والكيفية التي عامل بها الصهاينة المدنيين الفلسطينيين، ولم يسلم من همجيتهم حتى الأطباء والصحفيون.

٣. **الفوز بجيل ناشئ تعوّل عليه الأمّة:** جيل تربّى على العقيدة الصحيحة والعزّة والكرامة وحمل همّ قضايا الأمّة، وسيكون له شأن في المستقبل بإذن الله. وهذا الجيل هو الثروة الحقيقية، فهو جيل قد تربّى على العقيدة الصحيحة، وأوضح مثال على ذلك مواكب حفاظ القرآن الكريم التي نراها في غزّة، وفي المناطق المحررة في سوريا ودول اللجوء، هذه المشاهد التي لم نرها على مدار نصف قرنٍ من الزمان في ظلّ حكم نظام أسد.

٤. **خذلان العالم لهم وتآمره عليهم:** لم يجتمع العالم على خذلان قضية كما اجتمع على خذلان أهل سوريا وفلسطين في قضيتهم ضد النصيرية واليهود، إذ إنّ أكثر من مليون شهيد في سوريا، و(١٠) ملايين نازح ولاجئ، إضافة إلى تحويلها لبلد مدمر، لم يشفع لإسقاط جلادهم ومحاكمته، بل على العكس تمامًا تمّ تكريمه بأن أعيد إليه مقعده في المحافل الدولية، والأمر ذاته في فلسطين، فإنّ مقتل حوالي (٣٠) ألفًا في غزة خلال (٥) أشهر لم يكن كافيًا لإنهاء المعاناة والحصار، بل تسابقت دول العالم لدعم الكيان الغاصب، وكشّرت العدالة الدولية عن أنيابها وتوعدت كل من يدعم الضحية بتطبيق قانون الغاب عليه!

٥. **ازدياد التعاطف والأخوة:** يقال إنّ المصائب تزيد التعاطف، وهذا ما ينطبق على أهل سوريا وفلسطين، فالمحن والابتلاءات التي مرت بهم لم تُنْسِهم همَّ إخوانهم ومساندتهم قدر المستطاع، وقد رأينا كيف تسابق أهالي فلسطين لمساعدة إخوانهم في سوريا أثناء الثورة السورية بكل ما يستطيعون، وفي أحداث غزة الأخيرة رأينا مواقف تدعو للفخر من مساعدة أهالي الشمال السوري المحرر -على ضيق ذات اليد- لإخوانهم في غزة، في مشهد يعكس الأخوة الإيمانية، ويؤكد أنها رابطة تفوق كلّ الروابط.

أوجه التشابه بين جهاد أهل سوريا وفلسطين في مواجهة الصهاينة والنصيرية: العقيدة الراسخة والصبر والثبات أمام العدو، التفوق على العدو بالأخلاق والمبادئ، الفوز بجيل ناشئ تعوّل عليه الأمّة، خذلان العالم لهم وتآمره عليهم، ازدياد التعاطف والأخوة

وأخيرًا:

عن عبد الله بن حوالة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: (ستجنّدون أجنادًا، جندًا بالشام، وجندًا بالعراق، وجندًا باليمن). قلت: خِرْ لي يا رسول الله. فقال: (عليكم بالشام، فمن أبى فليلتحق باليمن، ولْيَستقِ من غدره، فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله) قال ربيعة: فسمعت أبا إدريس يحدث بهذا الحديث ويقول: «ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه»[(١)].

فيا أهل سوريا وفلسطين.. إن الله قد تكفل بكم.. فلا ضيعة عليكم إن شاء الله!

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٣)، وأحمد (١٧٠٠٥)، والحاكم (٨٥٥٦) وقال: صحيح الإسناد، والجملة الأخيرة (قال ربيعة..) أخرجها أبو الحسن الربعي في فضائل الشام (٤).

رؤية المفكر صالح الحُصيِّن رحمه الله حول المصارف الإسلامية وتشخيص التطبيقات

د. محمد عبد الله السلومي (*)

الإسلام بالنسبة للمسلم هويةٌ ونظامُ حياة، وهو لا يقبل منتجات الثقافات الأخرى إلا بعد عرضها على الشريعة، فإن وافقت قبلها، وإن وجد تعارضًا تجنَّبها والتزم البديل الشرعي،وفي عصرنا الذي نعيشه كثرت المنتجات القادمة من دول الغرب والشرق، ومن ذلك المنتجات المصرفية التي تقوم على أسس مخالفة للشريعة، ولا تخلو منتجاتها من محاذير ومخالفات، فكان من واجب الفقهاء وأرباب المال المسلمين أن يجتهدوا ويقدموا حلولاً بديلةً، وقد حصلت بالفعل تجارب ومحاولات في المصرفية الإسلامية، فهل نجحت؟ وهل حققت المطلوب؟ في هذا المقال قراءة في فكر خبير متخصص حول هذا الموضوع.

كتب معالي المفكر الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين (١٣٥١-١٤٣٤هـ) عن الاقتصاد العالمي في مواضع كثيرة من كتبه ومقالاته، لكنه أفرد كتابًا عن المصرفية الإسلامية بتراكم علمي ومعرفي ومعايشة عملية مع هذه المصرفية المأمولة، ومما تميزت به كتابته عن هذا الموضوع حجم الثقة العالية بهذا الدين بعقيدته وتشريعاته، لا سيما من خلال حِفْظ الله له لأكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن، مع إيمانه بالصلاحية الدائمة في تطبيقاته، ومن ذلك ما يتعلق بالمال والاقتصاد، والحصين لم يغب عن باله تشخيص واقع الاقتصاد العالمي؛ فهو رقيق للنظام الربوي الرأسمالي الذي قَدَّمَ لبعض البشرية الرفاهية والتبادل التجاري الكبير، لكن لم يُقدم لها الاستقرار الاقتصادي طويل الأمد، كما أنه اقتصاد لا يحقق العدالة المجتمعية أو الدولية؛ حيث بقي الاقتصاد دُولةً بين الشركات الثرية والدول الغنية، وقد تضاعفت نتيجة هذا ديون دول العالم! وازدادت في ظل هذا الاقتصاد كثير من دول العالم فقرًا وحاجةً ومعاناةً، بل وأزمات ومجاعات وكوارث، وبلغ الفقر العالمي فيها إلى أن يموت يوميًا (١٩,٧٠٠) إنسان من الفقر والجوع[١]! والقادم أخطر حسب آراء خبراء الاقتصاد! والله أعلم.

(*) باحث في الدراسات التاريخية ودراسات العمل الخيري والقطاع الثالث.

(١) مكتب الإحصاء الأمريكي، تقرير بعنوان (الفقر في الولايات المتحدة: ٢٠٢١)، رقم التقرير: (P٦٠-٢٧٧)، بتاريخ ١٣ سبتمبر ٢٠٢٢م.

وهذه الديون والأزمات الاقتصادية المتتابعة والمتوقعة خير شاهد على أن النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي بأصوله واستثماراته وفروعه قائم على أساس غير متين، لا سيما حينما تجاوزت ديون دول العالم (٣٥٠) تريليون دولار[١].

واقع المصارف الإسلامية:

والمصارف الإسلامية بوجودها المتنامي عالميًا -حسب رؤية الشيخ الحصين- لم تخرج عن هذه المنظومة العالمية، وكأن لسان حاله يقول: من المفترض أن تبادر هذه المصارف بالحلول الجذرية، وذلك بالإنفاق على البحوث والدراسات الاقتصادية التطبيقية أولاً، وتخوض التجربة المستقلة كذلك بعيدًا عن الحلول الجزئية الترقيعية!

وقد ذكر الحصين في بعض كتاباته أن دول العالم الإسلامي تعيش عدم حرية في بعض مناحي الحياة نتيجة تركها نظام الإسلام وأخذها لغيره من النظم كما هو الحال في الاقتصاد على سبيل المثال، ونتيجة لهذا حلَّ في عالم المسلمين مثل غيرهم رق الاقتصاد والديون، ورق ديون الاستهلاك، إضافةً إلى رق البنوك بنظامها العالمي الربوي، ولم تسلم المصارف الشرعية وهيئاتها من هذا النقد الإصلاحي من الحصين ومحاولات التصحيح والإصلاح للمسار، حيث كان يرى ببصيرته الناقدة مزالق وتأويلات معظم اللجان الشرعية في ما يُسمى البنوك الإسلامية.

والحصين مع هذا وذاك يُعطي التشخيص ويوضح أكثر عن خطر المعاملات الاقتصادية المحرمة التي يصف اقتصادها وكثيرًا من تعاملاتها بالرق المعاصر، وهذا الطرح الجريء جاء ممن عمل باللجان الشرعية المعنية بالمصرفية، وسَبَر غورها، وكَتَب عنها بما يوضح عن حقيقة عملها، بل وعن أسباب ودوافع المجتمع المسلم واندفاعه تجاهها! ومما قال مُشخِّصًا للحالة وللمرحلة التي عاينها بنفسه: «عندما أُعْلِن عن وجود البنوك الإسلامية كانت عاطفة الجماهير الإسلامية العارمة ورغبتها في التخلص من الربا دافعًا لإغراق تلك البنوك بالسيولة المالية، ولم تكن البنوك استعدت بمنتجات ملائمة لاستخدام فيض السيولة المالية، فلجأت إلى الهيئات الشرعية ملتمسة المخرج من هذا المأزق، ولم يكن أمام هذه الهيئات إلا أن تقدم لها حلولاً عملية تتمثل في صيغ تعتمد التركيز على ضمان رأس المال والعائد، على أساس أن تكون حلولاً مؤقتة»[٢].

ويرى الحصين أن هذه الحلول المؤقتة استمرت، بل وأصبحت عائقًا عن تطبيق التجربة الكاملة المأمولة وهي مشروع البنك الإسلامي الحقيقي كما قال: «لكن البنوك بعد ممارستها لهذه الحلول واكتشافها أنها وإن كانت أقل كفاءة من نظام الفائدة الربوية، إلا أنها لا تبعد عنها من ناحية الوظيفة، وأَصَرَّت على أن تكون عماد عملياتها وأن تُولِّد منها صورًا مشابهة، حتى صارت طابعًا مميزًا لها، وصارت عاملاً فعالاً في عزوف البنوك الإسلامية كليًا عن تجربة وتطوير المعاملات الشرعية، التي تُبْعِدُ البنكَ عن صيغة ضمان رأس المال والعائد، وتحقق الهدف المقصود وهو رفع الربا، ونتائجه الاقتصادية المدمرة.

وتمادى الأمر بالبنوك الإسلامية بدلاً من ذلك إلى محاولة إقناع الهيئات الشرعية بتمكينها من صيغ وأدوات تقترب كفاءتها من كفاءة نظام الفائدة الربوية، وتتخلص بقدر الإمكان من القيود العملية والشرعية التي تَقْصُر بها عن كفاءة نظام الفائدة»[٣].

> **ذكر الحصين في بعض كتاباته أن دول العالم الإسلامي تعيش عدم حرية في بعض مناحي الحياة نتيجة تركها نظام الإسلام وأخذها لغيره من النظم كما هو الحال في الاقتصاد على سبيل المثال، ونتيجة لهذا حلَّ في عالم المسلمين مثل غيرهم رِقّ الاقتصاد والديون، ورق ديون الاستهلاك**

المصارف الإسلامية والفرصة الضائعة:

والحصين يرى أن عدم صحة التطبيقات المصرفية الإسلامية تدعو للعزوف المجتمعي عنها، وهو ما يجعل الودائع البنكية تخدم الاقتصاد العالمي بطريقة غير مباشرة، كما يؤكد طبيعة هذه

(١) (ديون العالم تتخطى الـ ٣٠٠ تريليون دولار وسط إفلاسات مرتقبة)، إندبندنت عربية ووكالات، بتاريخ ١٥ سبتمبر ٢٠٢٢م، وكذلك: (الاقتصاد العالمي يتخطى عتبة الـ ١٠٠ تريليون دولار لأول مرة)، إندبندنت عربية، بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٢م.

(٢) خاطرات حول المصرفية الإسلامية، لصالح الحصين، ص (١٠١).

(٣) المرجع السابق، ص (١٠١).

الدورات الاقتصادية العالمية بقوله: «بسبب الرادع المشار إليه [تحريم الربا] امتنع المسلم التقي عن الانتفاع بالتسهيلات الائتمانية التي تمنحها البنوك، فكانت الأموال والمدخرات الإسلامية المُجمَّعة تضخ في الأسواق المالية الغربية، وتجري في شرايين الاقتصاد الغربي»[١].

وفي هذا الشأن، فإن منهجية الخبير الحصين أن لا يقول ما سبق عن ما يُسمى البنوك الإسلامية ولجانها الشرعية دون دليل أو تطبيق عملي، فهو خير خبير بهذا الشأن وبواعثه وآلياته ونتائجه، فقد كان عضوًا في بعض اللجان الشرعية لما يسمى المصرفية الإسلامية، ويتحدث من موقع المعرفة المبنية على المعايشة والمسؤولية، ولذلك فهو مع التشخيص يستدل بأنموذج عملي بعيدًا عن التنظير والنظريات، وأكثر من هذا حينما يرى أن تجارب المصرفية القائمة من اللجان الشرعية وما يُسمى البنوك الإسلامية تُشكِّل بمنتجاتها القاصرة عائقًا عن وجود البنك الإسلامي الحقيقي وتحقيق هذا المشروع الحُلم للمسلمين، ولتوضيح الصورة الكاملة يجب النقل مما كَتَبَه وإن كان النص طويلاً، حيث قال: «وعلى سبيل المثال فإن شركة الراجحي المصرفية للاستثمار طلبت قبل سنوات من هيئتها الشرعية الإذن لها ببيع الأسهم نسيئة، وقد فطنت الهيئة إلى أنها لو أذنت بذلك لفتحت الباب للشركة لاستعمال هذا الإجراء لعمليات التورق، ولكانت النتيجة الطبيعية أن تكون عملية التورق هي العملية السائدة لاستخدام الموارد، وأن تستغني بها الشركة عن كل الأدوات الأخرى لاستخدام الموارد، إذ لن تحتاج –في إجابة طلب العميل للتمويل– إلا أن تعرض عليه أن يشتري نسيئة أسهم شركة قوية معروفة بأن سعرها لا يتغير عادةً في المدى القصير ثم يبيعها بالنقد، وهذه العملية يمكن أن تتم في دقائق معدودة ولا تتعرض لتعقيدات المرابحة وقيودها العملية والشرعية، ولا تفترق عن التمويل بالفائدة إلا بتحميل العميل الفرق بين سعر البيع والشراء، وهو عادةً فرق ضئيل، وإذا تَحمَّله البنك لم يبق فرق في جانب العميل بين هذه العملية وعملية الاقتراض بالفائدة الربوية... إن ممارسة البنك الإسلامي لهذه العملية ستكون الطريق الأسهل للقضاء على مشروع البنك الإسلامي الحقيقي قضاءً نهائيًا»[٢]، وفي هذا القول تتضح أكثر رؤية الحصين حول مشروع البنك الإسلامي الحقيقي الذي يرى أنه حُلم أمة الإسلام وأملها للخلاص من رق اقتصاد الحضارة المعاصرة وإلى اقتصاد يُحقق العدالة الاجتماعية.

تجارب المصرفية الإسلامية الحالية التي أوجدت بدائل مؤقتة عن المعاملات الربوية، ثم جمدت عليها، شكلت بمنتجاتها القاصرة هذه عائقًا عن وجود البنك الإسلامي الحقيقي، وتحقيق هذا المشروع الحُلم للمسلمين

البديل الأصيل:

كَتَبَ الحصين في ورقته العلمية بعنوان: (هل من الممكن أن نتحرر من هذا الرق الثقافي؟)، وأوضح عن إمكانية صناعة (البديل الأصيل) مع ألمه وحسرته على علماء الاقتصاد والفقه والشريعة حول القصور في صياغة البديل الإسلامي لتقديمه، ليس للبنوك العربية فحسب، بل للمؤسسات المالية الغربية التي تبحث عن بديل مُنقذ، وذلك بقوله: «وفي خلال المائة سنة الماضية وُجِد علماء أجلاء في العالم الإسلامي يُسلِّمون بالتصور نفسه، ويرون أن لا بديل للنظام البنكي الربوي آلية رئيسة يقوم عليها اقتصاد قوي مزدهر غلاب»[٣]. كما يقول: «ومن ناحية أخرى فلم يتنبه هؤلاء العلماء إلى أن الواقع العملي، والتجارب الناجحة التي طُبقت خلال العقود الثلاثة الماضية أثبتت إمكانية التحول في الوساطة المالية بين المدَّخرين والمستثمرين من النظام الربوي إلى نظام يبرأ من الربا شكلاً وجوهرًا»[٤].

والحصين يوضح سبب جمود الاجتهاد والابتكار لدى العلماء، بأنه لا يخرج عن كونه نوعًا من الرق الثقافي أو الأَسْر الثقافي للقوالب الرأسمالية في التعاملات المالية، وأن الأمر يتطلب اكتشاف وابتكار صِيَغ شرعية بديلة، وحول هذا أوضح بكلام مترابط يصعب اختصاره كذلك فقال: «إن قوة الأَسْر الثقافي الذي أجبر هؤلاء العلماء على أن

(١) خاطرات حول المصرفية الإسلامية، ص (٣٧).
(٢) المرجع السابق، ص (١٠١-١٠٢).
(٣) من مقال بعنوان: "هل من الممكن أن نتحرر من هذا الرق الثقافي" على موقعه الإلكتروني: rowaq.org.
(٤) المرجع السابق.

مقارنة بين الطريق الصحيح للمصرفية الإسلامية والطريق الذي سلكته معظم المصارف

يَعْمَوا عن بديهةٍ عقليةٍ، وأن يتَعامَوْا عن الحقائق الواقعية لا يمثل في حقيقة الأمر شذوذًا من أفراد في مجال الأَسْر الثقافي، بل هو في الحقيقة ظاهرة عامة، واتجاه سائد، فقد أظهرت العقود الثلاثة الماضية التي وُجدت فيها مؤسسات مالية سميت «بالمصارف الإسلامية» أو «النوافذ الإسلامية» في البنوك الربوية؛ أن عَمَلَ المصرفيين الإسلاميين يعاونهم -بحسن نية- أعضاء الهيئات الشرعية في المصارف من العلماء على بذل جهود نشطة لاكتشاف وابتكار مناورات فقهية تمكنهم من متابعة آليات النظام البنكي الربوية وتبنِّيها بعد إلباسها ثوبًا لا يستر العورة في الغالب باسم «المعاملات الشرعية»، لقد تمكنوا من تبنِّي التعامل المصرفي بالفائدة البسيطة، ثم بالمعدل العائم للفائدة، وحتى عمليات التحوُّط والمشتقات المالية في صور يستحيل إيجاد الفرق بينها وبين أصولها من آليات التعامل الربوي، سواء من ناحية الجوهر والحقيقة أم من ناحية الآثار السلبية»[1]. وخلاصة رؤيته أنّ الرق الثقافي كان أكبر عائق عن الإبداع ضمن ما وفرته الشريعة من أصول وقواعد هادية للطريق الأمثل الذي يخلصنا من رق الربا!.

يرى الحصين أن سبب جمود الاجتهاد والابتكار لدى العلماء في المصرفية الإسلامية، أنه لا يخرج عن كونه نوعًا من الرق أو الأَسْر الثقافي للقوالب الرأسمالية في التعاملات المالية، وأن الأمر يتطلب اكتشاف وابتكار صِيَغ شرعية بديلة إبداعية ضمن ما وفرته الشريعة من أصول وقواعد هادية للطريق الأمثل الذي يخلصنا من رق الربا!

والحصين يرى أن هذا الرق الاقتصادي فيه خسائر كبرى للعالم الإسلامي، بل وجميع عَالَم الاقتصاد، لا سيما عند الإخفاق في تقديم البديل المنقذ الذي يُحقق المبادئ الثلاثة الكبرى للاقتصاد الإسلامي، وذلك حينما قال: «لم تكن الخسارة الثقافية التي فرضها الرق الثقافي الذي مارسته وتمارسه الثقافة الغربية على العالم الإسلامي خسارة فكرية، بل كانت خسارة عملية كبرى تمثلت في شلل العالم الإسلامي وعجزه عن إنقاذ نفسه وإنقاذ البشرية من البلاء العظيم (الربا)، وعجزه عن إيجاد بديل يحقق المبادئ الثلاثة الكبرى للاقتصاد الإسلامي:

(١) من مقال بعنوان: "هل من الممكن أن نتحرر من هذا الرق الثقافي" على موقعه الإلكتروني: rowaq.org.

١. أن يكون المال قيامًا للناس.
٢. وأن لا يكون دُولةً بين الأغنياء.
٣. وأن يحقق العدل في التعامل»[١].

كما كَتَبَ بصورة واضحة حول هذا البديل الذي يراه ويقترحه وهو الأصيل في الاقتصاد، وأوضح عن مصدر قوة البنوك الإسلامية ووجودها، بل وعن الآثار المأمولة لتطبيق قواعد الاقتصاد الإسلامي، وذلك بقوله: «وإذا كان هذا البديل لن يتحقَّق إلا بتغيير البنوك الإسلامية الحالية مسارَها، بحيث (تبدو الفوارق واضحةً وملموسةً بين ثمرة تطبيق النظام المصرفي الإسلامي وبين نتائج العمل المصرفي الربوي «وتحقق ما بشرت به البنوك الإسلامية» بأنَّ آثار تطبيق الاقتصاد الإسلامي على الأمة ينعكس في قيادتها نحو التنمية الاقتصادية، وإيجاد القيمة المضافة، وزيادة المصادر، وتشغيل العاطل) -حسب ما عبَّر الشيخ صالح كامل فيما اقتبسنا من محاضرته- وهذا لا يمكن أن يتحقَّق إلا إذا توجَّهت إرادة البنوك الإسلامية إلى التغيير، وإلى عدم الركون إلى صيغ العائد المحدد المضمون»[٢].

> **«تبدو الفوارق واضحةً وملموسةً بين ثمرة تطبيق النظام المصرفي الإسلامي وبين نتائج العمل المصرفي الربوي وتحقق ما بشرت به البنوك الإسلامية بأنَّ آثار تطبيق الاقتصاد الإسلامي على الأمة ينعكس في قيادتها نحو التنمية الاقتصادية، وإيجاد القيمة المضافة، وزيادة المصادر، وتشغيل العاطل»**
> الشيخ صالح الحصيّن

بارقة أمل:

ويقول عن الأمل المنشود حول البنوك الإسلامية الحقيقية: «ولَـمَّـا كانت البنوك الإسلامية إنما تستمدُّ قوتها التي هي عماد بقائها من هيئاتها الشرعية، فإنَّ الهيئات الشرعية للبنوك الإسلامية هي وحدها القادرة على حملِ البنوك الإسلامية على تصحيح مسارها، وإيجاد البنك الإسلامي الحقيقي»[٣]، والحصين بهذا القول يكرر اللوم والعتب على الهيئات الشرعية الاستشارية للمصارف الإسلامية، ويستحثهم لبذل مساعيهم لإيجاد البديل الشرعي الكامل وألا يتوقف دورهم عند المجاملة، وهو بذلك يشعرهم بالمسؤولية وخطر موقعهم.

والحصين يرى كذلك أن الإمكانات متاحة للعمل بهذا البديل، وهو الذي يحقق العدل والتنمية الحقيقية للأوطان، وذلك بقوله: «إنه ليس المنطقُ وحدَهُ، ولا التفكيرُ النظريّ الذي يُثبِت وجودَ هذه الإمكانيات، بل إنّ المسْحَ العابر لخريطة المعاملات الجارية حاليًّا في التجارة العالمية، يُثبِت وجودَ هامشٍ واسعٍ للعمل والممارَسة، بما يتفِقُ وروحَ المصرفية الإسلامية الحقيقية ومميزاتِها الأساسية وأهدافَها في تحقيقِ العدلِ والتنمية، واستعمالِ المال في وظيفته الطبيعيَة التي خلقه الله لــها: ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]»[٤].

وتُعدُّ كتابات الحصين في موضوعات الاقتصاد والاقتصاد الإسلامي والبنوك الإسلامية إضاءات (فقهية فكرية) ذات أهمية؛ حيث كانت تشغل باله وتفكيره لقناعاته العلمية الشرعية والمنطقية أن الاقتصاد المعاصر يفتقد لقيم العدالة المجتمعية، بل وربما يسقط التحضر المزعوم لاقتصاد الحضارة المعاصرة، والموضوع كبير لدى الحصين حينما أفرد له معظم صفحات كتابه المطبوع بعنوان (خاطرات حول المصرفية الإسلامية).

فهل يتحقق حُلُم الحصين بميلاد نواةٍ أولى لمصرف إسلامي يستفيد من تجربة نجاح "بنك غرامِيْن" البنغالي الذي أسسه البروفيسور "محمد يونس" من حيث الجانب الفني والإداري؟ وذلك بالعمل على إنجاح سياسات القروض الحسنة بعيدًا عن الربا وشبهاته، مستفيدةً هذه المصرفية الإسلامية من الهامش الواسع للعمل الاقتصادي العالمي، خاصةً أن أموال المؤسسات والجمعيات الخيرية وأموال المانحين وأرباب الثراء من أنصار الفكرة كفيلةٌ بإنجاح التجربة.

ورحم الله من أدَّى ما عليه بإسداء النصح والإصلاح.

(١) من مقال بعنوان: "هل من الممكن أن نتحرر من هذا الرق الثقافي" على موقعه الإلكتروني: rowaq.org.
(٢) خاطرات حول المصرفية الإسلامية، ص (١٠٨).
(٣) المرجع السابق، ص (١٠٨).
(٤) المرجع السابق، ص (١١٠).

تزكية

منهجية الفهم الصحيح للقرآن وتدبره

أ. عبد الناصر حسن صويص (*)

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وشرعُه لخلقه، فيه الحق والهدى والنور، من تمسَّك به سعد في الدنيا ونجا في الآخرة، ومن زاغ عنه ضلَّ وهلَك، دستور حياة المسلمين، ومصدر علومهم، ولا يكون ذلك إلا بالفهم الصحيح لمعانيه ومقاصده، فما منهجية ذلك؟ وهل له قواعد وأسس؟ في هذه المقالة توضيح وبيان لذلك

مدخل:

بيَّنَ اللهُ سبحانه الغايةَ من إنزال القرآن فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فالقرآن لم ينزل لمجرد التلاوة فحسب؛ بل لأجل فهم معانيه وتدبر آياته ثم العمل بما فيه كذلك، وهذا ما كان عليه حال سلف الأمة؛ قال أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ: «حدثنا مَن كان يُقرِئنا مِن أصحاب النَبي ﷺ: أنهم كانوا يقترئون مِن رسول الله ﷺ عشرَ آيات، فلا يأخذونَ في العشرِ الأخرى حتى يعلموا ما في هذه مِن العلم والعمل، قالوا: فعَلِمنا العلمَ والعَملَ»(١).

وقد نعى الله على المشركين إعراضَهم عن القرآن وعدمَ استفادَتِهم من عِبَره وهديه فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

إنَّ تدبر القرآن هو التأمُّلُ لفهم المعنى، والتوصُّلُ إلى معرفةِ مقاصدِ الآياتِ وأهدافها، وما ترمي إليه من المعاني والحِكَم والأحكام، بقصد الانتفاع بما فيها من العلم والإيمان، والاهتداء بها والامتثال بما تدعو إليه(٢).

(*) دبلوم دراسات إسلامية، خطيب وداعية.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢).

(٢) ينظر: فهم القرآن وتدبره، للدكتور: أحمد بن شرشال.

تدبُّر القرآن هو التأمُّلُ لفهم المعنى، والتوصُّلُ إلى معرفةِ مقاصدِ الآياتِ وأهدافها، وما ترمي إليه من المعاني والحِكَم والأحكام، بقصد الانتفاع بما فيها من العلم والإيمان، والاهتداء بها والامتثال بما تدعو إليه

ضبط منهجية الفهم والتدبر:

لما كان القرآنُ الكريم أصلَ العلوم كلها، وصحة المعتقد وقبول العمل يتوقف على حُسن فهم معانيه؛ كان لا بد من ضبط المنهجية التي توصل طالب العلم إلى الفهم الصحيح لكلام الله تعالى، حتى لا تزل قدمٌ بعد ثبوتها، ولا يزيغ فهمٌ عن جادة السلف الصالح، الذين فهموا القرآن فهمًا صحيحًا فترجَموه واقعًا عمليًّا، فسادوا به الأمم، ودانت لهم الدنيا.

وهذا يحتاج إلى مراحل من التحصيل العلمي على طالب العلم الإلمام بها وتحصيلها من مظانها، ومن هذه المراحل الأساسية للفهم الصحيح[1]:

» المرحلة الأولى: جمع الآيات التي تتكلم عن موضوع واحد في موضع واحد:

لأنَّ أحسن طرق التفسير وأصحَّها أن يُفسَّر القرآن بالقرآن؛ لأنه صادر من المتكلم به، إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله سبحانه وتعالى.

ولأنَّ النصوص الشرعية تمثِّل وحدةً واحدةً يُكمِّل بعضُها بعضًا، فلا تتَّضح المسألة حتى تستوفي جميع النصوص الواردة فيها، وهذه الطريقة في التفسير كان ينتهجها رسول الله ﷺ، حيث كان يفسِّر بعض آيات القرآن ببعضها.

١. فما أُجمل من القرآن في موضع فُصِّل في موضع آخر، والمُجمَل ما احتاج إلى بيانٍ، فيُحْمَلُ المُجمَلُ على المبيَّنِ ليفسرَ بِهِ، ومثاله:

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، فقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ مجمل في هذا السياق ولم يبيَّن، وبيَّنه الله سبحانه بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣] هذا مفصَّل ومبيَّن.

٢. وما اختصر في موضع بُسط في موضع آخر، وهذا كثير:

مثل أن يَرِدَ ذِكرُ خلق الإنسان في موطنٍ كما في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ [عبس: ١٧-١٩] والسؤال كيف قدره؟؟

تجد التفصيل في سورة المؤمنون ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

٣. وما أطلق في موضع تم تقييده في موضع آخر:

ومن أمثلته كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٠].

فإطلاق عدم قبول توبتهم أبدًا قُيِّد في سورة النساء بقوله: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

النصوص الشرعية تمثِّل وحدةً واحدةً يُكمِّل بعضُها بعضًا، فلا تتَّضح المسألة حتى تستوفي جميع النصوص الواردة فيها، وهذه الطريقة في التفسير كان ينتهجها رسول الله ﷺ، حيث كان يفسِّر بعض آيات القرآن ببعضها

» المرحلة الثانية: الوقوف على ما صح من الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ:

فمن أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالسنة، وذلك لعدة أسباب:

أ. لأنَّ السنة وحيٌ من الله جلّ وعلا؛ لقول الله تعالى عن نبيّه ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]. قال القرطبيُّ وابنُ كثير: وقولُهُ تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآنَ، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني السُّنَّة»[2].

ب. لأن الله تعالى أمر رسوله ﷺ ببيان القرآن، فأبان اللهُ عز وجل على لِسان رسوله ﷺ معاني القرآن

(١) ينظر: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، لعصام العويد، والمدخل إلى موسوعة التفسير المأثور، بإشراف د. مساعد الطيار، (١٢٧/١).
(٢) تفسير القرطبي (٩٢/١٨)، وتفسير ابن كثير (٤٤٤/١).

لأصحابه، وأوضح لهم ما خَفِي عليهم منه. وقالَ الشافعيُّ رحمه الله: «جميعُ ما تقولُهُ الأمَّةُ شَرحٌ للسنَّةِ، وجميعُ السنَّةِ شَرحٌ للقُرآنِ»(١).

مثال التفسير النبوي:

أ. حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] قال: (تَشْهَدُهُ ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ)(٢).

ب. بيان الصلاة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، عن علي ﷺ قال: لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: (ملأ اللهُ بيوتهم وقبورهم نارًا؛ شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)(٣).

من أفضل طرق التفسير تفسير القرآن بالسنة: لأنَّ السنة وحي من الله جلّ وعلا، ولأن الله تعالى أمر رسوله ﷺ ببيان القرآن، فأبان اللهُ عز وجل على لِسان رسوله ﷺ معاني القرآن لأصحابه، وأوضح لهم ما خَفِي عليهم منه

» المرحلة الثالثة: الوقوف على ما صح من الآثار الواردة عن الصحابة:

فالصحابة ﷺ مقدّمون على غيرهم في العلم بالقرآن وتفسيره، للأسباب الآتية:

١. صحبتهم للنبي ﷺ، وحضورهم مجالسه، وتلقّيهم القرآن منه، وتمكّنهم من سؤاله عمّا يحتاجون إليه. قال ابنُ مسعود ﷺ: «كان الرجلُ منا إذا تَعَلَّمَ عَشرَ آياتٍ لَم يُجاوِزْهنَّ حتى يَعرِفَ مَعانِيَهُنّ، والعَمَلَ بِهِنَّ»(٤).

٢. رِضَا الله تعالى عنهم، وتزكيته لهم وطهارة قلوبهم وزكاة نفوسهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

٣. حسن فهمهم لمعاني القرآن من غير تكلّف في البيان: فهم أهل اللسان والديار التي نزل بها القرآن، وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وقد شهدوا التنزيل ومواضعه، ومعرفة أسبابه وأحواله وشهودهم لوقائعه، وهذه المعرفة العزيزة لا يقاربهم فيها أحد بعدهم، ولها أثر كبير في معرفة معاني القرآن، وفهم مقاصده.

٤. عاصروا وشهدوا ما قبل الوحي، أي الجاهلية، والقرآن جاء ليهدم الجاهلية.

عن ابن مسعود ﷺ قال: «والذي لا إلَهَ غَيرُهُ ما مِن كِتابِ اللهِ سُورَةٌ إلا أنا أعلمُ حيثُ نزلت، وما من آيَةٍ إلا أنا أعلمُ فيما أُنزلت، ولو أعلمُ أحدًا هو أعلمُ بكِتابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الإبِلُ، لَرَكِبْتُ إليه»(٥). وقال ابن عباس ﷺ: ضَمَّنِي رسول اللهِ ﷺ وقال: (اللهُمَّ عَلِّمهُ الكِتابَ)(٦).

ومن أمثلة تفسيرات الصحابة الدالة على علمهم وفهمهم:

ما روته عائشةُ ﷺ قالت: «كانت قريش ومَن دان دِينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمَّون الحُمْسَ، وكان سائرُ العرب يَقِفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]»(٧).

» المرحلة الرابعة: الوقوف على ما صح من الآثار الواردة في أسباب النزول:

قال ابن دقيق العيد: «وبيانُ سببِ النّزول طريقٌ قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائنَ تحفُّ بالقضايا»(٨).

لكنَّ القول في أسباب النزول لا يعتمد على العقل والاجتهاد، بل يعتمد على الرواية والسماع. قال الواحدي: «ولا يحلُّ القولُ في أسباب نزول الكتاب إلا

(١) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٣٥) وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٣) أخرجه البخاري: (٢٩٣١) ومسلم (٦٢٧).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٨٠) وتفسير ابن كثير (١/ ٨).
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣).
(٦) أخرجه البخاري (٧٥).
(٧) أخرجه البخاري (٤٥٢٠) ومسلم (١٢١٩).
(٨) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢/ ٢٥٩).

بالرِّواية والسَّماع ممن شاهدوا التَّنزيل ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها وجَدُّوا في الطِّلاب»[١].

وقال الشاطبي: «وهذا شأنُ أسبابِ النُّزول في التعريفِ بمعاني المنزَّل، بحيث لو فُقِد ذِكر السبب لم يُعرف مِن المنزَّل معناه على الخصوص، دون تطرُق الاحتمالات وتوجُّه الإشكالات»[٢].

> **«وبيانُ سببِ النّزول طريقٌ قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائنَ تحفُّ بالقضايا»**
>
> **ابن دقيق العيد**

» المرحلة الخامسة: الإلمام باللغة العربية وعلومها:

ففهم معاني القرآن يعتمد -أول ما يعتمد- على فهم لغة العرب؛ فمَن أراد فهم القرآن وتفسيره تفسيرًا صحيحًا عليه أن يُلِمَّ بمجمل من علوم اللغة، ومنها:

١. **الثروة اللغوية وغريب المفردات:**

«لأن بها يُعرف شرحُ مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب»[٣]، يعني غَرِيبها.

٢. **علم الصرف:**

«لأن به تُعرَفُ الأبنية والصِّيَغ، قال الزمخشري: مِن بِدَعِ التفاسير قولُ مَن قال: إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] جمع «أُمّ»، وأن الناس يُدعَون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم»[٤]، «يعني أن أمًّا لا يُجمَعُ على إمام، هذا كلام مَن لا يعرف الصناعةَ ولا لغةَ العرب»[٥].

٣. **علم النحو:**

«لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره، أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حُسنَ

(١) أسباب النزول، ص (٨).
(٢) الموافقات (١٥٢/٤).
(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢١٣/٤).
(٤) الإتقان في علوم القرآن (٢١٣/٤-٢١٤)، وينظر: تفسير الكشاف للزمخشري (٦٨٢/٢) وتفسير الرازي (٣٧٦/٢١).
(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٢٩٩/١).

المنطق ويقيم بها قراءته؟ فقال حسن: فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها»[1].

٤. البلاغة وعلومها:

«المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يُعرف بالأول خواصُّ تراكيب الكلام مِن جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصُّها مِن حيث اختلافُها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وُجوهُ تحسين الكلام، وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة، وهي مِن أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بد له مِن مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وإنما يدرك بهذه العلوم»[2].

٥. دلالة حروف المعاني:

والمراد بحروف المعاني: الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء، ويطلق عليها حروف الربط، وقد اهتم علماء اللغة بدراسة معاني الحروف واستعمالاتها في اللغة، فالحرف يلعب دورًا هامًا في تغيير معنى الجملة.

وقد ذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى أن حروف الجرِّ يجوز أن تنوب عن بعضها البعض، وحجَّتهم في ذلك كثرة الشواهد المسموعة من القرآن الكريم والشعر العربي[3]:

١. ومِن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي مع الله.

٢. وقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، أي على جذوع النَّخل.

٣. وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [محمد: ٣٨]، أي على نفسه.

وذهب البصريون إلى أن حروفَ الجرِّ لا ينوب بعضها عن بعض، فإن ورد ما أَوْهم خلاف ذلك، فهو إمَّا مُؤوَّل تأويلاً يقبله اللفظ: ففي قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] حيث إنَّ المصلوب لتمكُّنه من الجذع كأنَّه قد صار فيه، أي أن الجذوع قد صارت لهم بمعنى المكان؛ لاستقرارهم فيها، يعني: لأن الجذوع بمنزلة القبور لهم[4].

وإمَّا على التضمين: أن يُضَمّن الفعل معنى فعل يتعدّى بذلك الحرف: ففي قوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] ضُمِّن الفعل: ﴿فَظَلَمُوا﴾ معنى «كَفَرُوا» أو «جَحَدُوا» أو «ظَلَمَوا أَنْفُسَهُمْ بِعَقْرِها» فلذلك عدِّي بالباء، وقوله تعالى: ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]؛ إذ ضَمَّنَ ﴿عَاكِفُونَ﴾ معنى عابِدِينَ، فَعَدَّاهُ باللامِ[5].

٦. دلالة الجملة الاسمية والجملة الفعلية:

ومن ذلك معرفة أنَّ الجملة الاسمية تدل على الثبوت، وأنَّ الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث.

لكن يشترط لدلالة الجملة الاسمية على الثبوت والاستمرار ألا يكون خبرها جملة فعلية، فإن كان الخبر جملة فعلية فإنها تفيد التجدد ولا تفيد الثبوت ولا استمرارية الثبوت، فقوله تعالى مثلاً: ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤] تفيد تجدد وقوع الحدث من الناس.

وإذا كان الخبر فعلاً ماضيًا دلت على الانقضاء فلا استمرارية ولا تجدد. ففي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] قال ابن الأثير: «إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية، وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بإنَّ المشدَّدة؛ لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر، والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط، وأما الذي خاطبوا به المؤمنين، فإنما قالوا تكلفا وإظهارا للإيمان خوفا ومداجاة»[6].

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل «المنفقون»، ويأتي التعبير في الإيمان بالاسم كقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٦٢]؛ لأن النفقة أمر فعلي شأنه الحدوث والتجدد بخلاف الإيمان فإنه له حقيقة تقوم بدوام مقتضاها»[7].

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ لأنَّ الحمد لله ثابت مستقر لله عز وجل دائمًا وأبدًا،

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢١٣/٤).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢١٤/٤).
(٣) ينظر: مغني اللبيب (١٥٢/١).
(٤) ينظر: المفصل، ص (٣٨١)، ومغني اللبيب (١٥٢/١).
(٥) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي (٤٤٢/٧).
(٦) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ص (٢٢٤). والمداجاة: المداراة.
(٧) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص (٢٠٩-٢١٠).

جيء بالجملة الاسمية لإفادة هذا الاستحقاق للحمد دائمًا وأبدًا، لا ينفك عنه بأي وجه من الوجوه.

٧. دلالة التقديم والتأخير في الجمل وما يتعلق بها:

لم يختلف أهل التفسير في بعض الآيات على أنها من باب المقدَّم والمؤخَّر، وهذا التقديم والتأخير مشروط بوجود القرينة. وهذا النوع من التقديم والتأخير غير مقصود هنا، وهو مما لا يقع فيه الخلاف، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فقدم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وحقه التأخير، وقوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ [الحج: ٣٧]. فقدم لفظ الجلالة ﴿اللهَ﴾ وحقه التأخير.

أما التقديم والتأخير الذي يعنينا فهو دعوى التقديم والتأخير في كلام لم ينصب عليه دليل في الكلام، ولا أرشدت إليه قرينة، ويخل بفهم أصل المعنى.

فإذا لم توجد قرينة تدل على التقديم والتأخير، وتنازع العلماء في الآية، فالصحيح هو حمل الآية على الترتيب؛ لأنه الأصل في الكلام، ولا يُنتقَل عن الأصل إلا بدليل واضح وقرينة بينة لا سيما إذا استقام المعنى بدونه.

قال أبو عمرو الداني: في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦]: «﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ كافٍ [يعني أن الوقف عليها وقفٌ كافٍ]. وقال قائل: الوقف على ﴿مَا لَيْسَ لِي﴾ وليس بشيء؛ لأن قوله ﴿بِحَقٍّ﴾ من صلة ﴿لِي﴾، والمعنى: ما يحق لي أن أقول ذلك. وقد آثر بعضهم الوقف على ذلك بأن جعل الباء في قوله ﴿بِحَقٍّ﴾ صلة لقوله ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ بتقدير: إن كنت قلته فقد علمته بحق. وذلك خطأ لأن التقديم والتأخير مجاز، فلا يستعمل إلا بتوقيف أو بدليل قاطع»[(١)].

أمثلة توضح أهميَّة اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم:

١. قال الأَصْمَعِيُّ: كنا عند أبي عمرو بن العلاء قال: فجاء عَمرو بنُ عُبيد فقال: يا أبا عمرو، يُخلِفُ اللهُ وعدَه؟ قال: لا، قال: أرأيتَ مَن وَعَدهُ الله على عمل عقابًا، أليس هو مُنْجِزه له؟ فقال له أبو عمرو: يا أبا عثمان مِنَ العُجْمَةِ أُتِيتَ، لا يُعدُّ عارًا ولا خُلفًا أن تَعِدَ شرًا ثم لا تفي به، بل تَعُدُّه فضلاً وكرمًا، إنما العار أن تَعِدَ خيرًا ثم لا تفي به»[(٢)].

٢. قال الأخفشُ: «وقولُهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] يعني -والله أعلم- بالنظر إلى الله: إلى ما يأتيهم مِن نِعَمه ورزقه، وقد تقول: «واللهِ ما أَنظُرُ إلا إلى اللهِ وإليكَ» أي: أنتظر ما عند الله وما عندك»[(٣)]، وردَّ الأزهريُّ على الأخفش هذا القول وبيَّنَ أنه لا يَصِحُّ في اللغة هذا المعنى: فقال: «ومَن قال: إنَّ معنى قوله: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] بمَعْنى مُنْتظِرة فقد أَخطأ؛ لأن العربَ لا تقول: نظرتُ إلى الشيء بمعنى انْتظرتُه، إنما تَقول: نظرتُ فلانًا أي انتظرته، ومنه قول الحطيئة:

وَقد نَظَرتكُمُ أَبْنَاءَ صَادِرَةٍ
لِلْوِرْدِ طَال بهَا حَوْزِي وتَنْسَاسِي

فإذا قلت: نظرتُ إليه لم يكن إلا بالعين، وإذا قلت: نظرتُ في الأمر احْتمل أن يكون تفكُّراً وتَدَبُّراً بالقَلبِ»[(٤)].

قال الشاطبي: «المَقصُودُ هنا أن القُرآنَ نَزَلَ بلسانِ العربِ على الجُملةِ، فطَلَبُ فَهمِهِ إنما يكونُ من هَذا الطريقِ خاصةً؛ لأن اللهَ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

> **معاني القرآن موافقة لمعاني كلام العرب وأساليبهم، لذا فإن معرفة اللغة العربية شرطٌ في فَهم القرآن؛ فمن لا يَعرفُ اللغةَ التي نزلَ بها القرآنُ فإنه لا شَكَّ سيقعُ في الزَّلَلِ، بل سيحرِّف الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ**

» المرحلة السادسة: فهم دلالة السياق:

فقد نصَّ على أهميتها واعتبارها من أهم الدلالات التي ينبغي للمفسر أن يعتني بها جماعة من أهل العلم سلفًا وخلفًا.

(١) المكتفى في الوقف والابتدا، لأبي عمرو الداني، ص (٦٣-٦٤).
(٢) الإبانة الكبرى، لابن بطة (٣٠١/٤)، وقوله: مِن العُجمة أُتيتَ: أي أخطأتَ لأنك أعجمي، وعمرو بن عبيد المعتزلي فارسي.
(٣) معاني القرآن، للأخفش (٥٥٨/٢).
(٤) ينظر: معاني القرآن، للأخفش (٥٥٨/٢)، وتهذيب اللغة، للأزهري (٢٦٦/١٤). والتنساس: السير الشديد.

قال ابن دقيق العيد: «أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه»[١]، وقال الزركشي: «دلالة السياق: فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم؛ فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقيرُ»[٢].

» المرحلة السابعة: فهم موضوع السورة وما يتعلق به.

أي المعنى العام الذي أنزلت السورة من أجله، أو هو الموضوع الذي تدور عليه آياتُ سورةٍ ما، وما من سورة في الأغلب إلا ولها موضوع تدور عليها، وكذلك الآيات، فالآية في الأعم الأغلب تكون متصلة بما قبلها وما بعدها، ولا يلزم أن يكون ذلك في كل آية وكل سورة، ولو كان؛ فالوقوف عليه في كل آية وسورة متعذر.

قال القاضي ابنُ العربي: «ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقة المعاني منتظمة البيان: عِلمٌ عظيم»[٣].

> **«ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتَّسِقة المعاني منتظمة البيان عِلمٌ عظيم»**
> **القاضي ابنُ العربي**

» المرحلة الثامنة: العناية بتدوين أخبار وقَصص الأئمة مع القرآن، ثم الاستشهاد بها في محلِّها من التفسير.

وهذه من لطائف ومُلح التفسير، وليست تفسيرًا للقرآن، لكن لها الأثر العظيم في نفس المتلقِّي والسامع في إحقاق حقٍّ، أو ردع مُبطِلٍ، وتُثمر تأثرًا وخشية، أو إنابةً وتوبة، أو تزكيةً وتربية، أو تفقُّهًا واستنباطًا، ومن أمثلة ذلك:

شَرِبَ عبدُ الله بن عمر ﷺ ماءً باردًا فبكى فاشتدَّ بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، قال: فعرفت أنَّ أهل النار لا يشتهون شيئًا إلا الماء البارد، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٠][٤].

عن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة)، قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[٥]، قال محمد بن نصر المروزي: «وأما النصيحة لكتاب الله فشدة حبه، وتعظيم قدره؛ إذ هو كلام الخالق، وشدة الرغبة في فهمه، ثم شدة العناية في تدبره، والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ويقوم له به بعد ما يفهمه»[٦].

وختامًا:

إنَّ بركة القرآن العظمى إنما هي في تدبُّر آياته وتفهُّمها، والتأدُّب بها، والوقوف عند أوامرها، والبعد عن نواهيها ومساخطها، إن آخر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، «كانوا يقترئون مِن رسول الله ﷺ عشرَ آيات، فلا يأخذونَ في العشرِ الأخرى حتى يعلموا ما في هذه مِن العلم والعمل، قالوا: فعَلِمنا العلمَ والعَمَلَ»[٧].

فما أحوج القلوب إلى تدبُّر القرآن، والأنس به، والتأمُّل في آياته، والتزوُّد من حِكَمِه ومواعظه وعبره، ففيه: ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

فمَن أراد أن يخشع قلبه، وينشرح صدره، فلا غنى له عن التفكُّر والتمعُّن في معاني الآيات التي يتلوها، ولا يكن همُّه متى يختم السورة.

فاللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وارزقنا تلاوة القرآن وتدبره واجعله شفيعًا وحجة لنا يوم الدين.

---

(١) إحكام الأحكام (٢/٢١).
(٢) البرهان (٢/٢٠٠).
(٣) سراج المريدين في سبيل الدين، لأبي بكر بن العربي (٤/١٤٤).
(٤) الزهد، لأحمد بن حنبل، ص (١٥٦).
(٥) أخرجه مسلم (٥٥).
(٦) تعظيم قدر الصلاة (٢/٦٩٣).
(٧) أخرجه أحمد (٢٣٤٨٢).

المشروع الإيراني في المنطقة العربية كما تؤسسه نظرية أم القرى

أ. عباس شريفة(*)

إيران اليوم ليست دولة عظمى، لكنها ليست دولة هامشية أيضًا، وفي الوقت الذي يراها فيه معظم المسلمين دولة غريبة عنهم في العقيدة والفكر، تسعى هي لتكون ممثلة لشيعة العالم، بل للمسلمين جميعهم، ومن يفتش في خلفيات هذا السعي تطرق مسامعة نظرية تدعى (أم القرى)، فمن هو صاحب هذه النظرية؟ وما هي خلفياته الفكرية والسياسية؟ وما هي تفاصيل النظرية؟ وهل لهذه النظرية وجود على أرض الواقع؟ هذا ما تحاول هذه المقالة الإجابة عنه

مقدمة:

هل تمتلك إيران مشروعًا حقيقيًا للسيطرة على منطقة المشرق العربي؟ أم أن ما يروج عن مشروع إيراني هو مجرد أوهام من المهووسين بالصراع الطائفي، ونوع من الاستدعاء للخلاف التاريخي بين الشيعة والسنة؟ باعتبار أن إيران تطرح نفسها اليوم ليس مجرد دولة شيعية جعفرية وإنما راعية لكل شيعة العالم ولشيعة الدول العربية بشكل أساسي، بل وممثلة للولاية العامة على جميع المسلمين في العالم وقائمة مقام الإمام الغائب بنيابة ولي الفقيه عنه حتى ظهوره.

في الحقيقة إن إيران تمتلك كل عناصر المشروع الاستراتيجي الذي يستهدف المشرق والخليج العربي، وخطة استراتيجية لتنفيذ المشروع، وأدوات حقيقية يتم توظيفها في سبيله.

في هذه المقالة محاولة لتشريح المكونات الأساسية لمشروع النظام الإيراني في منطقة الشرق العربي، وذلك من خلال تحليل أهم مصادر الفلسفة السياسية لهذا المشروع والنظريات الفكرية التي يستند إليها، من خلال نظرة تحليلية على نظرية «أم القرى» للمنظر والأكاديمي الإيراني محمد جواد لاريجاني، مع محاولة اكتشاف الخلفية الفكرية للكاتب مؤسس نظرية «أم القرى»، وتقييم موضوعي لهذا المشروع، والتنبيه لأهم ثغراته الاستراتيجية والإجابة عن الأسئلة البحثية التالية: ما الأهداف الاستراتيجية لإيران في المنطقة،

(*) باحث في الصراعات والفكر الإسلامي.

وما هي الخطة التنفيذية لتحقيق هذه الأهداف؟ وما هي الأدوات التي تستخدمها؟

أولاً: تعريف بالمنظر والنظرية:

سنتحدث عن الخلفية السياسية والاجتماعية والفكرية لمؤسس النظرية، وتقاطعاتها مع عقيدة الولي الفقيه وكتاب أم القرى للكواكبي، وبيان أن النظرية هي مجرد مذهب سياسي إيديولوجي وليست نظرية بالمعنى العلمي.

١- محمد جواد لاريجاني:

ولد محمد جواد لاريجاني عام ١٩٥١م، كان يدرس للحصول على درجة الدكتوراه في الولايات المتحدة في الفيزياء عندما اندلعت الثورة عام ١٩٧٩م. فترك دراسته وعاد إلى إيران، ثم أصبح عضوًا في البرلمان الإيراني في الفترة من ١٩٩٢ إلى ٢٠٠٠م، كما شغل أيضًا منصب مدير مركز الأبحاث. وحاليًا يشغل منصب أمين لجنة حقوق الإنسان، وهو منصب يندرج ضمن إطار السلطة القضائية التي يرأسها شقيقه صادق[١].

تهيمن عائلة لاريجاني على مناصب مهمة داخل النظام السياسي المعقد في إيران، فمن بين خمسة أشقاء يرأس الشقيقان علي وصادق اثنتين من المؤسسات الثلاث الكبرى في البلاد، البرلمان والسلطة القضائية، فيما يشغل الباقون مناصب رفيعة داخل مجلس حقوق الإنسان والسلك الدبلوماسي ووزارة الصحة[٢].

أما والده ميرزا هاشم آملي فهو من مراجع الدين الشيعة، وكان مرجعًا متنفذًا في حوزة النجف بالعراق. وهناك أنجب أربعة من أصل ستة من أولاده؛ هم بنت وثلاثة أبناء ذكور؛ قبل أن يستقر في حوزة قم في منتصف الستينات من القرن العشرين، وهناك رُزق بولدين آخرين. وتزامن استقرار المرجع الآملي في قم مع بداية نشاط الخميني ضد النظام الملكي[٣].

يُعرف محمد جواد لاريجاني بأنه من منظّري التيار المحافظ في مجال السياسة الخارجية، وتتسم شخصيته بمزجها بين الجوانب الثقافية القومية الفارسية والمذهبية الشيعية والبراغماتية السياسية، وهو صاحب كتاب «مقولات في الاستراتيجية الوطنية» الذي فصل فيه نظريته أم القرى وهي موضوع بحثنا في هذه المقالة.

٢- الدلالة الاصطلاحية والسياسية لتسمية «أم القرى»:

نظرية «أم القرى» هي استعارة من الاسم الذي يطلق على مكة المكرمة، في قوله تعالى: ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقد قيل: إن مكة سميت (أمّ القُرى) لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها[٤].

أما المفهوم السياسي لنظرية «أم القرى» بحسب ما يفصل فيه لاريجاني فإنها فكرة بناء دولة إسلامية تحمل قيادة ولاية الفقيه، حيث يتم تحقيق الوحدة والقوة في إطار إسلامي شيعي. النظرية تركز على مفهوم أم القرى عاصمة للعالم الإسلامي، وتقدم رؤية لتوحيد المسلمين تحت قيادة إيران، مع التركيز على تحقيق الهيمنة الإيرانية في المشرق العربي.

وهنا يقول لاريجاني: «الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد الثورة في زمن قيادة الإمام الخميني... أو في الوقت الحاضر تحت سماحة آية الله الأمام خامنئي... هي بدون شك أم القرى دار الإسلام»[٥]، وبذلك تتحقق المركزية الإيرانية في قيادة العالم الإسلامي بدلاً من مكة باعتبار أن المركزية تكتسب شرعيتها من قيام الحكومة الإسلامية وليس قدسية المكان، ويمكن أن تعود مكة لتكون أم القرى بعد سيطرة الحكومة الإسلامية عليها.

وتتلخص هذه النظرية في أنها محاولة لبناء نظرية دينية وفق رؤية شيعية خالصة تصوغ العلاقات المتبادلة بين الجمهورية الشيعية الإيرانية والعالم العربي خصوصًا والإسلامي عمومًا[٦].

(١) تقرير على موقع الجزيرة نت بعنوان: نفوذ عائلة لاريجاني، تاريخ النشر ٦حزيران يونيو ٢٠١٣م.
(٢) يراجع في موقع العربية على الويب تقرير: متهم بالفساد وحليف رجال الدين، لاريجاني مرشح الرئاسة، نشر في تاريخ نشر في: ١٥ مايو، ٢٠٢١م.
(٣) مقال على جريدة الشرق الأوسط للكاتب عادل السالمي، بعنوان: الإخوة لاريجاني... أرخبيل السلطة والنفوذ، تاريخ النشر: ٢٣ مارس ٢٠١٨م.
(٤) تفسير الطبري (١٠٨/١).
(٥) مقولات في الاستراتيجية الوطنية (شرح نظرية أم القرى الشيعية) المؤلف: محمد جواد لاريجاني، ترجمة د. نبيل عتوم، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، لندن، ص (١١٣).
(٦) ينظر: «إيران والإمبراطورية الشيعية الموعودة» د. لبيب المنور، صادر عن مركز الدراسات العلمية في مكة المكرمة عام (١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م).

المفهوم السياسي لنظرية «أم القرى» بحسب لاريجاني: بناء دولة إسلامية تحمل قيادة ولاية الفقيه، حيث يتم تحقيق الوحدة والقوة في إطار إسلامي شيعي. النظرية تركز على مفهوم أم القرى عاصمة للعالم الإسلامي، وتقدم رؤية لتوحيد المسلمين تحت قيادة إيران، مع التركيز على تحقيق الهيمنة الإيرانية في المشرق العربي

٣- «أم القرى» لاريجاني و «أم القرى» الكواكبي:

يبدو أن لاريجاني يحاول أن يتقمص دور عبدالرحمن الكواكبي ويحاكي عنوان كتابه «أم القرى»، لكن مع اختلاف جذري في الجوهر رغم الاتفاق في العنوان؛ ففيما صور الكواكبي في كتابه «أم القرى» عقد اجتماع متخيل بين ممثلي العالم الإسلامي للتباحث في أسباب تخلف المسلمين، وتشخيص العلل التي تحول بين المسلمين ونهضتهم، حيث أحصى في كتابه «أم القرى» أكثر من ٨٢ علة ليعيدها في كتاب «طبائع الاستبداد» إلى علة واحدة هي الاستبداد، كان لاريجاني يؤسس في نظريته «أم القرى» لإقامة حكم ثيوقراطي استبدادي ديني كما يصفه الكاتب الأمريكي كينيث ماغينيس[١] وهذا النظام لا يفرض سطوته على إيران فقط وإنما على العالم الإسلامي بكامله، على الشيعة وعلى السنة بعد تشييعهم.

٤- النظرية تعمل على بعث الشيعة من عقيدة الانتظار إلى الاستقبال:

إن نظرية أم القرى التي تستند إلى نظرية الولي الفقيه بحسب ما بينها الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» تنقل الشيعة من عقيدة الانتظار للإمام في حالة غيبته الكبرى حتى الإذن الإلهي بالفرج، إلى عقيدة الاستعداد لاستقبال خروجه، وبحسب هذا التصور ترشح الجمهورية الإيرانية الشيعية دولة جمعت الشروط اللازمة كي تصبح «أم القرى» العالم الإسلامي، وهي تعتبر نفسها بمثابة القلب المذهبي والدولة المركزية للعالم الشيعي «الإسلام الصحيح»، ومن يمتلك القلب المذهبي الشيعي وفق الإمكانات والموارد المتوفرة والمتاحة لإيران حاليًا ينبغي عليه السعي لتحقيق هدفه المذهبي النهائي، وهو التوسع لبناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة؛ لتكون النواة هنا هي دولة المهدي الشيعي المنتظر الذي سينقذ العالم.

لا شك بأن إيران الدولة، والثورة الخمينية تسعى للانتقال من فكرة «أم القرى» من إطارها النظري إلى بعدها الإجرائي، فمشروع «أم القرى» لن يتحقق إلا إذا تمت السيطرة على المجال الحيوي المطلوب، وبدونه لن تقوم دولة إيرانية مذهبية عظمى إقليميًا، وقادة «أم القرى» في إيران يريدون توظيف الظروف والمتغيرات الإقليمية الحالية لتصبح من خلالها إيران قائدة للإقليم كله الذي يحتوي على مصادر القوة الكامنة.

وقد مهدت إيران لجمع عُقد «أم القرى»، بهدف إيجاد مجالات داعمة لهذه القوة، ونظم عِقد حباتها مذهبيًا وجغرافيًا، ومن هنا فإن العالم الشيعي -بحكم هذه التطورات- يتجه لأن يصبح وحدة مذهبية شيعية وسياسية، بعد أن يتحقق هدفه النهائي بتكوين الإمبراطورية الشيعية الموعودة[٢].

٥- نظرية الولي الفقيه السند الديني لنظرية «أم القرى»:

بينما تشكل نظرية «أم القرى» الأس النظري السياسي للمشروع الإيراني تشكل نظرية الولي الفقيه المستند الديني للمشروع؛ فقد جاء في كتاب الحكومة الإسلامية للخميني: «وإذا نهض بأمر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل، فإنه يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي ﷺ منهم، ووجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا.

ويملك هذا الحاكم من أمر الادارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ، على ما يمتاز به الرسول والامام من فضائل ومناقب خاصة»[٣].

هذه الفقرة من كتاب «الحكومة الإسلامية» للخميني تدخل بنا مباشرة إلى ولاية الفقيه كما نظر إليها النراقي[٤]، وقد استدل الخميني بأدلة النراقي واعتمد على قواعده الفكرية واجتهاداته، والتي أرساها

(١) يراجع في موقع الجزيرة نت: مقال: أميركا ضللت شعبها والعالم بشأن إيران، تاريخ النشر: ٢٣ مايو ٢٠١٥م.
(٢) مقولات في الاستراتيجية الوطنية (شرح نظرية أم القرى الشيعية)، مقدمة المحرر نبيل العتوم، ص (٩-١٠).
(٣) الحكومة الإسلامية، للخميني، ص (٤٩).
(٤) أحمد النراقي (١٧٧١-١٨٢٩م)، فقيه شيعي، من مدينة نراق التابعة لمحافظة مركزي في إيران، وهو واضع أسس نظرية «ولاية الفقيه»، ودون كتابًا في ذلك بالاسم نفسه.

أهم الأهداف السياسية للمشروع الإيراني

١ السيطرة على المجال الحيوي في الخليج العربي وبلاد الشام

٢ تصدير نموذج خاص مكون من حكومة مدنية وميليشيات متحكمة

٣ السيطرة على مكة لتأسيس زعامتها للعالم الإسلامي وتمثيلها للمسلمين

٤ نشر التشيع ضمن أدوات السيطرة والنفوذ

الخميني بعد نفيه إلى العراق من قبل الشاه محمد رضا بهلوي سنة ١٩٦٣م. وذهب إلى أن الأدلة التي تدل على وجوب الإمامة هي الأدلة التي تدل على وجوب ولاية الفقيه نفسها، وأنها من الأمور الاعتبارية العقلانية التي توجد بالجعل والتبني والوضع الإنساني أيضًا، وذلك كجعل القيِّم للصغار، وأن القيم على الأمة لا يختلف عن القيم على الصغار من ناحية الوظيفة[١].

كما ذهب إلى أن الفقهاء هم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل، ولم يورثوا العلم والحديث فقط كما هو ظاهر الروايات، فالولاية قابلة للانتقال والتوريث أيضًا[٢].

وتعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأنّ الولاية المطلقة للفقيه تجعل الفقيه ينتقل عن الحكم الأولي إلى الحكم الثانوي لفترة معينة بسبب إحاطته بالفقه والمصالح الإسلامية، ويعتقدون أيضًا أنّ الحكم الثانوي قد يكون من الأحكام الإلهية نتيجةً للتنصيب الإلهي العام لولي الفقيه[٣].

وهكذا يجعل الخميني لنفسه الولاية على الأمة باعتباره ممثلاً للنيابة عن الإمام المطلق في فترة غيبته الكبرى، ما يعني أنه من حقه وواجبه التدخل في كل شؤون الدول الإسلامية لما يمثله من الولاية العامة على المسلمين.

وقد واجهت نظرية «الولي الفقيه» اعتراضات من عدد من مراجع الشيعة خصوصًا من محمد حسين النائيني الذي بلور فكرة ولاية الأمة على نفسها، وسار على نهجه محمد مهدي شمس الدين ومحمد حسين فضل الله، وبعدهما محمد حسين الأمين وهاني فحص وغيرهما، وهذا فقط على المستوى اللبناني أو ما يطلق عليه مدرسة جبل عامل[٤].

بينما تشكل نظرية «أم القرى» الأس النظري السياسي للمشروع الإيراني تشكل نظرية الولي الفقيه المستند الديني للمشروع؛ حيث تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بأنّ الولاية المطلقة للفقيه تجعل الفقيه ينتقل عن الحكم الأولي إلى الحكم الثانوي لفترة معينة بسبب إحاطته بالفقه والمصالح الإسلامية، ويعتقدون أيضًا أنّ الحكم الثانوي قد يكون من الأحكام الإلهية نتيجةً للتنصيب الإلهي العام لولي الفقيه

(١) ينظر: كتاب الحكومة الإسلامية للخميني، صادر عن مركز بقية الله، الطبعة الثالثة، ص (١٠٩).
(٢) ينظر: كتاب البيع، للخميني، ص (٩٢)، والحكومة الإسلامية، ص (١٥٠-١٥١).
(٣) موقع آية الله مصباح اليزدي، نسخة محفوظة بتاريخ ٥ مارس ٢٠١٦م، على موقع واي باك مشين.
(٤) القوة الناعمة في المنطقة العربية (السعودية، تركيا، إيران) مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، الطبعة الأولى ٢٠١٨، ص (٢٠٥).

٦- نظرية سياسية أم مذهب سياسي (إيديولوجي)؟

يعترف لاريجاني أن ما قدمه من مشروع سياسي هو في حقيقته مذهب سياسي «إيديولوجي» وليس نظرية سياسية، ويفرق بين النظرية والمذهب على الشكل التالي:

«إن ما قمنا ببيانه في باب أم القرى هو في الواقع «مذهب» وفي فن السياسة ليس نظرية علمية»[١].

ثم يكمل: «طبعًا نحن من باب المسامحة استخدمنا في اللفظ مصطلح نظرية لأم القرى، والآن السؤال الأساسي: ما هو الصحيح النظرية أم المذهب؟ في أي موقع يمكننا أن نقول عن نظرية ما إنها صحيحة، ومتى نقول إنها مذهب؟

بالنسبة للنظرية فإن معيار الحقيقة هو بعدها أو قربها من الواقع، وهذا معيار تفضيل نظرية على أخرى.

أما بالنسبة للمذهب فالبحث يختلف اختلافًا كاملاً: المذهب السياسي في الحقيقة له ركنان: ركنه الأول مجموعة من الأهداف والمقاصد، وركنه الثاني القواعد التي تستخدم في المسير نحو هذه المقاصد»[٢]، وبما أن لاريجاني قد حدد أهدافه في نظرية أم القرى في بعث إيران كقطب دولي وعالمي وحدد أدواته ووسائله لتحقيق هذا الهدف فهذا يعني أن ما يكتبه هو نظرية سياسية وليس نظرية علمية.

عناصر المشروع الاستراتيجي في نظرية «أم القرى»:

سنفصل في هذا المبحث أهم عناصر خطة النظام الإيراني الاستراتيجية كما هي واردة في نظرية أم القرى:

١- رؤية مشروع النظام الإيراني والفكرة المركزية:

ترى النخبة الثورية الشيعية في طهران أن إيران بما تمتلكه من موقع جغرافي وثقل سكاني وثروات وإيديولوجية دينية قومية، وما تتمتع به من تراث فلسفي وإمبراطوري من الدولة الساسانية حتى اليوم؛ مؤهلة أن تكون قطبًا سياسيًا دوليًا يلعب دورًا في إدارة العالم وليس مجرد فلك أو قمر صغير تابع للدول العظمى.

وهنا يقسم محمد لاريجاني الدول إلى صنفين: دول أقطاب مثل الولايات المتحدة وروسيا، ودول عبارة عن فلك أو قمر صغير يقع في نطاق نفوذ الدولة القطب، وبناء عليه فإن الاستقلال السياسي لدولة وتحررها من هيمنة الدول الأقطاب يعني أن تكون الدولة قطبًا وألا تكون فلكًا في قطب آخر.

لأن الأقطاب -فقط- تعترف باستقلال بعضها عن بعض، وتعتقد بالنسبة لسائر الدول أنها يجب أن تكون فلكًا في واحد من هذه الأقطاب، وإذا خالفت أية دولة هذه المنظومة العالمية وحاولت الخروج من ربقتها فإنها ستجد نفسها في مواجهة أمام جميع الأقطاب المهيمنة على الأفلاك[٣].

وهنا يعتبر لاريجاني انتصار «الثورة الإسلامية الإيرانية» في العام ١٩٧٩م في أوج السيطرة الفلسفية لقطبي العالم. ومنذ انتصارها تم الإعلان عن سياسة (لا شرقية ولا غربية) أي أنها حالة مستقلة في قطبيتها لا تتبع لأي من الأقطاب، وفي البداية وبحسب لاريجاني: «لم تأخذ أميركا وروسيا هذه القضية بجدية؛ لأن عملاءهما في إيران كانوا يعملون وكانت الدولتان لا تزالان يراودهما الأمل في احتواء الثورة، لكن حكمة الإمام الخميني حالت دون ذلك وأفشلت مخططاتهما»[٤].

ولكن لاريجاني يقدم مفهومه الخاص عن معنى القطبية «هذا المفهوم الجديد يقوم على مفهوم أساسي: قوة العمل والنشاط في خارج الحدود. أي أن دولة تستطيع أن تعمل في دولة أو دول أخرى. ويمكن لهذا العمل أن يكون له آثار اقتصادية وسياسية أو عسكرية»[٥] وبهذا تكون هذه الدولة قطبًا.

من هذا الكلام تتضح رؤية النظام الإيراني لدور إيران في السياسة الدولية وطموحها لتكون دولة عظمى خارج سيطرة الأقطاب العالمية التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية، وهذا يعني ضرورة أن تهيمن إيران على محيطها الحيوي حتى تكون شريكًا أساسيًا ومهمًا يحسب لها الحساب في تقرير السياسات الدولية تكون ندًا للولايات المتحدة وليست تابعة[٦].

(١) ينظر: كتاب مقولات في الاستراتيجية الوطنية، ص (١٢٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص (١٤٧-١٤٨).
(٤) المصدر السابق، بتصرف لتجنب سوء الترجمة ص (١٥٣).
(٥) المصدر السابق، ص (١٦٠).
(٦) للمزيد من الشرح يراجع اللقاء مع محمد جواد لاريجاني على قناة euronews (عربي) على يوتيوب.

ترى النخبة الثورية الشيعية في طهران أن إيران بما تمتلكه من موقع جغرافي وثقل سكاني وثروات وإيديولوجية دينية قومية، وما تتمتع به من تراث فلسفي وإمبراطوري من الدولة الساسانية حتى اليوم؛ مؤهلة أن تكون قطبًا سياسيًا دوليًا يلعب دورًا في إدارة العالم وليس مجرد فلك أو قمر صغير تابع للدول العظمى

٢- رسالة مشروع النظام الإيراني والفكرة المحفزة:

إن الرسالة الموجزة التي تقدمها إيران في مشروعها هي: أنَّ إيران دولة مقاومة لمشروع الاستكبار الأمريكي «الشيطان الأكبر» في المنطقة، وهي الفكرة الملهمة لكل حركات المقاومة المناهضة للمشروع الأمريكي التي يمكن أن تدفع بها للوقوع في فلك النفوذ الإيراني ثم تحولها لأدوات ورافعة للمشروع الإيراني.

ويسوق لاريجاني العداء مع أمريكا باعتبارها قوة إمبريالية تهدف إلى منع قيام قطب إيراني في المنطقة: «في منطقة «الخليج الفارسي»، أول حركة لأمريكا تشكيل جبهة عربية ضد إيران. بنظر أمريكا يجب إخضاع إيران الإسلامية وتعديلها»[١].

وهنا يقع السؤال الجدلي: هل موقف النظام الإيراني من القضية الفلسطينية هو مجرد استخدامها أداة للسيطرة واختراق الحيز العربي السني أم هو موقف استراتيجي حقيقي؟ يبدو أن الرأي الأول هو الراجح.

فالقضية الفلسطينية بالنسبة لإيران ما هي إلا جسر للعبور إلى عاطفة الشعوب العربية ولإخفاء الوجه القومي والطائفي للنظام الإيراني، وبالرغم من المناكفة بين الولايات المتحدة وإيران فقد كانت الاستراتيجية الأمريكية والإيرانية متفقة في احتلال العراق وأفغانستان وتدمير سورية[٢].

٣- أهداف المشروع الإيراني:

تكمن الأهداف السياسية للنظام الإيراني في:

- السيطرة على المجال الحيوي في الخليج العربي وبلاد الشام.
- تصدير نموذج غير مسبوق في شكل النظام السياسي ثنائي التركيب من الحكومة المدنية المنتخبة ومن الميليشيات العسكرية المتحكمة بالدولة من الخلف.
- كما يهدف النظام الإيراني مرحليًا للسيطرة على مكة لتأسيس زعامتها للعالم الإسلامي وتمثيلها لكل المسلمين، وهو الأمر الذي سيسمح لها بالتقدم للعب دور دولي وإقليمي يثبت قطبية إيران.
- نشر التشيع أداة من أدوات السيطرة والنفوذ: حيث يقول لاريجاني: «والواقع أن إيران هي «أم القرى/ دار الإسلام»، انتصار أو هزيمة إيران هما انتصار وهزيمة للإسلام. ومن ناحية أخرى: إيران هي مهد الإسلام الحقيقي والخالص»[٣].

أما من حيث الأدوات فهي تقوم بـ:

- تعزيز القوة العسكرية، لكي تكون غطاء حاميًا لنفوذها في تلك الدول.
- بناء مليشيات عسكرية لكي تكون أذرعة لنفوذها في المنطقة، كحزب الله في لبنان، والحوثيين في اليمن، وفيلق بدر ونحوه من المليشيات في العراق.
- الدعم المالي للجمعيات والمؤسسات والشخصيات الشيعية في المناطق السنية.

القضية الفلسطينية بالنسبة لإيران ما هي إلا جسر للعبور إلى عاطفة الشعوب العربية ولإخفاء الوجه القومي والطائفي للنظام الإيراني، وبالرغم من المناكفة بين الولايات المتحدة وإيران فقد كانت الاستراتيجية الأمريكية والإيرانية متفقة في احتلال العراق وأفغانستان وتدمير سورية

٤- القيادة:

يذكر لاريجاني في المسوغ لمشروعية حق إيران في قيادة العالم الإسلامي «أن أساس وحدة الأمة (قيادتها). وقيادة العالم الإسلامي تقوم على أساس

(١) يراجع كتاب مقولات في الاستراتيجية الوطنية، ص (١٦٥).
(٢) مركز الرافدين للدراسات الإستراتيجية، مقال بعنوان: التخادم الأمريكي - الإيراني، للباحث: حسين صالح السبعاوي، تاريخ النشر: ٤ مايو ٢٠٢٠م.
(٣) يراجع كتاب مقولات في الاستراتيجية الوطنية، ص (٧٦).

ولاية الفقيه... وعندما تقوم حكومة في إحدى بلاد الإسلام ويكون لدى قيادتها الأهلية لقيادة الأمة تصبح أم القرى دار الإسلام. وإذا قامت دولة أم القرى ففي هذه الحالة من واجب القيادة أن تلاحظ مصالح كل الأمة، ومن ناحية أخرى فإن المحافظة على كل الأمة هو فريضة ولها أولوية على أي أمر آخر[١].

وهنا يقول لاريجاني: «يجب أن يطرح الدفاع عن العالم الإسلامي في استراتيجيتنا الوطنية كركن أساسي، ويجب أن يكون مد نظرنا قيادة العالم الإسلامي»[٢]، وبذلك يتضح أن تبني إيران للقضية الفلسطينية باعثها الشعور بأحقية القيادة وليس مجرد القيام بالواجب الإسلامي في مناصرة المسلمين.

٥- الخطة التنفيذية:

من أجل وصول النظام الإيراني لأهدافه تم رسم الخطة الخمسينية التي سربت في تسعينيات القرن الماضي والمكتوبة من اللجنة الثقافية في مجلس الشورى الإيراني، وبموجبها يسعى النظام لتصدير الثورة الإيرانية بالسيطرة على جميع الدول العربية خلال ٥ مراحل، كل مرحلة من عشر سنوات. وحسب هذه الخطة، فإن أركان الدولة تعتمد على ثلاث ركائز، وهي: السلطة التي بيد الدولة، والعلم والمعرفة عند العلماء، والاقتصاد والثروة عند التجار والرأسماليين.

وخطط النظام لاستهداف الأركان الثلاث في الدول العربية من خلال الوقيعة والفتنة بين تلك الجهات، والتوغل في الحكومات عبر العملاء، وتحريك العلماء ورجال الدين ضد حكوماتهم، وبناء الحسينيات وشراء البيوت والأملاك، وتأسيس أحزاب وخلايا تجسسية وميليشيات عسكرية.

وإذا أسقطنا تحركات النظام في المنطقة العربية، نرى بوضوح أن أدوات وأساليب تلك الخطة التي قسمتها طهران إلى خمس مراحل قد نفذت بشكل كامل في بعض الدول العربية مثل العراق واليمن، ونفذت بشكل جزئي في بعض الدول العربية الأخرى خاصة في سوريا ولبنان، ويحاول تنفيذها في البحرين والسعودية والكويت والسودان وجزر القمر، والأحداث التي حصلت في الدول العربية في الآونة الأخيرة بعد الربيع العربي تثبت التطابق التام بين الوثيقة وبين سلوك النظام الإيراني في سورية واليمن بشكل أساسي[٣].

الخاتمة والنتائج:

من الواضح أن مشروع النظام الإيراني كما بينا بعض تفاصيله في تحليل نظرية أم القرى لم يجعل من إيران قطبًا استراتيجيًا في العلاقات الدولية والتسيد على المنطقة، وإنما هو مجرد مشروع طائفي قومي يقوم بدور وظيفي ويتحرك في الهوامش التي تسمح بها الإدارة الأمريكية، ويتخادم معها في تنفيذ الاستراتيجية الأمريكية «الفوضى الخلاقة» وتفجير الصراع الطائفي واقتلاع المكون السني الذي يشكل الرافعة الأساس لقيام أي قطب إسلامي، وتهشيم البيئة الاستراتيجية العربية المحيطة بإسرائيل من أجل هندسة المنطقة على أساس حلف الأقليات.

بالمنظور الاستراتيجي لا يمكن لإيران أن تكون قطبًا إقليميًا فضلاً عن أن تكون قطبًا دوليًا يقود العالم الإسلامي، فالنظام الإيراني عليه أن ينفق الطاقات والموارد البشرية لتحويل مليار ونصف سني هم مادة الإسلام وعموم الأمة إلى التشيع حتى ينجح مشروعه وأنى له بذلك، إضافة إلى أنواع الأزمات الداخلية في إيران من النزعات القومية الانفصالية وغياب الحامل الاجتماعي للمشروع واعتماده على الشيعة العرب أدوات لتنفيذ المشروع، وبالتالي فإن المستفيد الوحيد من المشروع الإيراني هو الكيان الصهيوني الذي يشعر بالخطر من المحيط السني والولايات المتحدة التي تتخوف من تولد قطب إسلامي.

وهنا يمكن أن نعزو بعض نجاحات النظام الإيراني في تنفيذ مشروعه في المحيط العربي إلى غياب المشروع العربي المقاوم، والدعم الاستراتيجي الغربي والإسرائيلي للتحركات الإيرانية للاستثمار فيها والاتجار بها، لكن بدون السماح لإيران بقطف ثمارها والتصرف كقطب في السياسة الدولية.

---

(١) يراجع كتاب مقولات في الاستراتيجية الوطنية، ص (١٠٨-١١٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٧).

(٣) مقال: حول الآثار المترتبة على التوسعات الإيرانية في الوطن العربي، يحيى أبو حاتم، المنشور على موقع المنتدى العربي لتحليل السياسات الإيرانية، المنشور بتاريخ ٢٧ يناير ٢٠٢٠م.

وأقبل رمضان

أ. محمود درمش (*)

لله تعالى أزمنة مباركة يضاعف فيها الأجور ويفتح فيها أبواب هباته ورحماته، وعلى رأسها شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، فجعله الله زمانًا لركن الإسلام الرابع (الصوم)، ورتب فيه فضائل وجوائز عظيمة، والمسلمون يعرفون فضل هذا الشهر ويستعدون له، لكن تتكرر كل عام مشاعر وخلجات مع هذا الشهر، لنأخذ معها جولةً في هذه المقالة.

لشهر رمضان المبارك خصوصية يتميز بها، وله أجواؤه الروحانية التي يذوب القلب شوقًا لها، إلا أنه ثمة خلجات وأشجان خاصة بهذا الشهر يعرفها كل واحدٍ فينا إذا أقبل الشهر الكريم، ثم بدأت أيامه تنصرم شيئًا فشيئًا حتى تتفطَّر القلوب لمغادرته ووداعه.

على المستوى الشخصي ينبغي أن يظهر الفرق بين التجربة الأولى التي يخوضها المرء في حياته في مشروع أو مناسبة أو وظيفة وبين المرات اللاحقة، من جهة التراكم المعرفي والمهاري الذي ينمو مع الإنسان، فعلى سبيل المثال: الذي يسافر بالطائرة للمرة الأولى سيواجه عددًا كبيرًا من الإجراءات والخطوات، وقد يخطئ فيها أول مرة، وبعضها يحتاج لأكثر من تجربة حتى يتقنها بدءًا من إجراءات الحجز وانتهاء بصعود الطائرة والوصول للمقعد المحدد.

وإذا استثنينا المسلمين الجدد فزيارة هذا الشهر الكريم ليست جديدة علينا، والتجارب التي خضناها في الرمضانات الماضية كفيلةٌ بصياغة خبرةٍ خاصةٍ في التعامل مع هذا الموسم، وكافيةٌ ليعرف كلٌّ منا كيفية استقبال هذا الموسم المبارك والشهر الكريم، وكيفية استثماره بطريقة تناسبه.

لكن من جهة أخرى.. تجاربنا متأثرة بما نعرفه عن سيرة النبي ﷺ وهديه في رمضان، وكذلك سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة والصالحين من بعدهم، فالمسلم يجتهد وعينه ترمق سير أولئك القدوات، عسى أن يقترب من سلوكهم أو أن يتشبه بهم، لينال ما نالوا من الأجر والقبول والرضى.

(*) كاتب في قضايا التربية والفكر.

المسلم يجتهد في رمضان وعينه ترمق سير القدوات من النبي ﷺ وأصحابه الكرام والصالحين من الأمة، عسى أن يقترب من سلوكهم أو أن يتشبه بهم، لينال ما نالوا من الأجر والقبول والرضى

ذكريات رمضان الماضي:

الذكريات التي يتركها رمضان الماضي مؤثرة جدًا، خصوصًا الحسرة على التقصير الذي لا ينجو منه إنسان، ويكون عند أصحاب القلوب اليقظة لنقص الشعور بفرحة تمام هذه العبادة، وإذا تأملنا ارتباط عيدي الإسلام بعبادتين عظيمتين (الصوم والحج)، وكون العيدين يأتيان بعد أيام فاضلة يُشرع فيها الاجتهاد في التعبُّد لله تعالى أكثر من غيرها (ليالي العشر الأواخر من رمضان وأيام العشر من ذي الحجة) بدا لنا واضحًا أن من معاني العيد ومقاصده: شكر الله تعالى على ما أنعم وأكرم ببلوغ هذه الأيام والليالي الفاضلة، وإذا تنغصت فرحة العيد بسبب التقصير أو التفريط في استغلال لحظات وليالي الشهر الكريم، فذلك يولِّد رغبةً واستعدادًا لتلافي هذا التقصير في رمضان القادم.

أما من أحسنَ العملَ واجتهد في اغتنام ساعات الشهر ولياليه وصاحَبَ القرآن واعتكف الليالي الفاضلة فله شأن آخر؛ فهو سيحرص أشدَّ الحرص على المحافظة على ما قدم من العمل، وعلى عدم تدنيسه بسيِّء الفعال، وسيكون داعيًا راجيًا أن يقبل الله هذه الأعمال، وقد جاء في بعض الآثار أن سلف الأمة كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يتقبل منهم رمضان[1].

وفي كلا الحالين (التقصير والاجتهاد) يتولَّد لدى المؤمن طموحات مثالية لرمضان القادم.

الاستعداد للقدوم:

ترقب مجيء رمضان سلوكٌ يفعله كل مسلم، ولذلك تجدهم يسألون بعضهم بشوق: «كم بقي على قدوم رمضان؟» وكلما اقترب موعده أكثر تكرر السؤال أكثر، وهنا يبدأ الحديث مع النفس عن الاستعداد لاستقبال الشهر الكريم، وكيف سنجعل من رمضان هذا موسمًا مختلفًا عما سبق.

وهكذا كان يفعل سلفنا الصالح، فقد ورد أنهم كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلِّغهم رمضان[2]، وفي أيامنا هذه يكثر دعاء الخطباء على المنابر بأن يبلِّغنا الله رمضان.

ومع اقتراب الشهر تبدأ تخطر للذهن أفكارٌ من قَبيل التوبة النصوح، وتصفية القلوب من شوائب التنافس والتباغض والتدابر، ورفع السوية التعبدية اليومية قبل قدوم رمضان بشيء من صوم وصلاة النوافل وزيادة مقدار تلاوة القرآن الكريم، ... وهكذا، وقد يتقدَّم التفكير نحو إعداد جداول متابعة تفصيلية.

لكن يحصل عادةً أن ننشغل بعد كل هذه الخواطر بأعمالنا اليومية ومسؤولياتنا، وذهابنا ومجيئنا، وفجأة! نجد أن الشهر صار على الأبواب، حين تنجلي الغفلة عن قرب الشهر برسائل التهاني والتبريك بقدومه، وغالبًا يكون قد فاتنا الاستعداد المثالي الذي كنا نُحدِّث أنفسنا به.

يا سَعدَ أمة الإسلام لو أنَّ الناس أقبلوا على صلاتهم ومساجدهم في سائر أيامهم كما يفعلون في الأيام الأولى من رمضان

قدوم الضيف:

يتناقل الناس خبر رؤية الهلال أو الإعلان الرسمي لدخول الشهر الكريم، فإذا أعلن عن دخوله وسرت في النفوس انتعاشته السحرية، اندفع الناس اندفاعًا عجيبًا نحو الطاعة والعمل الصالح، وتبدأ التهاني والاتصالات في التوارُد حتى لا يبقى أحدٌ لم تسرِ فيه انتعاشة الموسم المبارك.

هنا تبدأ الهمة في التصاعد ومناطحة الثريا ومقارنة الجوزاء، فتوضع الأهداف المثالية والعالية لما سننجزه ونلتزم به، فمن يقرر أن يختم عشر ختمات، ومن يلتزم بحضور التراويح في مسجد بعيد يطيل الصلاة .. وهكذا، مما لا يلتزمه الناس عادة، ودافعهم لذلك هو نشوة دخول الشهر، والشعور بالمنافسة والمسابقة.

ومن جهة أخرى قد نكتشف أن بعض ما يحتاجه البيت لوجبات الشهر لم يكتمل بعد، فيتفاجأ الجميع بزحام الأسواق وحمى الشراء.

(١) أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١٧٦١) عن معلى بن الفضل.
(٢) المرجع السابق.

الكم أم النوع؟

قد يكون من المفاجئ (لمن لا يعرف رمضان) أن تمتلئ المساجد في أيامه الأولى، حتى يخيَّل إليك أنَّ سكان الحي قد تضاعفوا، والحاصل أنَّهم التَفَتوا أخيرًا لما ينبغي أن يحظى باهتمامهم، ويا سعد أمة الإسلام لو أنَّ الناس أقبلوا على صلاتهم ومساجدهم في سائر أيامهم كما يفعلون في الأيام الأولى من رمضان.

وبعد حماسة البداية، ومع جو التنافس العام ومخالطة المشمِّرين، يبدأ في النفس حوارٌ من قبيل: هل أعتني بعدد مرات ختم القرآن الكريم؟ أم أركز على ختمة واحدة هادئة بتدبُّر وعناية بالتفسير والفهم؟ هل أصلي التروايح عشرين ركعة؟ أم أكتفي بثماني ركعات؟ وهل أصلي التراويح في المسجد القريب أم أقصد مسجدًا بعيدًا يؤمُّه إمام ذو صوت شجي؟ وصحيح أنها كلها قربات وطاعات، لكن ينبغي ألا يكون الترجيح نابعًا من أحد السببين الآتيين:

- التساهل المفضي إلى التفريط، وتفويت الفضائل العظيمة.
- التكلف المفضي إلى إرهاق النفس، ومن ثم الانقطاع وانهيار الهمة.

وكلٌّ منَّا أعلم بنفسه هل يستطيع تحقيق ما اختار من الأعمال؟ أم سيجد مشقة وعنتًا؟ وهل اختار الأيسر من الأعمال والأقل من الأعداد لأنَّ نفسه تميل إلى الدعة والراحة؟ أم لأنه يريد أداء هذا العدد القليل بتركيز أعمق وخشوع أسمى؟

وهنا يحسن بنا أن نستذكر صلاة النبي ﷺ، الذي كان يصلي فلا يزيد عن إحدى عشرة ركعة[1]، ولكنه قام بأصحابه حتى ذهب ثلث الليل، وفي ليلة أخرى قام بهم حتى ذهب شطر الليل، ثم قال أبو ذر رضي الله عنه: «فقامَ بِنا حتى خَشِينا أَنْ يَفُوتَنا الفَلاحُ». قال الراوي عنه: قلتُ: ما الفَلاحُ؟ قال: «السُّحُورُ»[2]. فهي وإن كانت قليلة في عدد ركعاتها، فهي طويلة في قيامها وأدائها، وحدث ولا حرج عما فيها من الخشوع.

> **الفتور من طبيعة الإنسان، فكلُّ اجتهادٍ وتشميرٍ يليه فتور، ومعرفة هذا الأمر قبل الاجتهاد مفيدة في إدارة النفس وقيادتها، ومن ذلك أن يعرف المرء نفسه وما تطيق، فلا يكلفها فوق طاقتها، بل يرفع من وتيرة عمله بمقدارٍ يعرفُ من نفسه وظروفه القدرة على التحمُّل والمواصلة**

بين الفتور والاجتهاد:

من مزايا رمضان أنَّ خيرَ أيامه آخرُها، ففيها الليالي العشر التي أقسم الله بها في أول سورة الفجر، و(كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره)[3]، وفيها ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، ومن وافقها نال خيرًا عظيمًا.

ومما تلاحظه العين أن امتلاء المساجد الذي بدا ظاهرًا للعيان في أول رمضان يتراجع حتى آخر الشهر، وكأنَّ الفضل كان في أوله أكبرَ وأعظم، وما ذلك إلا مظهرٌ من مظاهر الفتور والانقطاع عن مواصلة العمل، وأخذ هذا الفتور والانقطاع بالحسبان من أول الشهر مما يفيد في غذ المسير والاتزان في وضع الأهداف والتزام الأعمال.

وهذا الفتور من طبيعة الإنسان، وقد نبَّه عليه النبيُ ﷺ في قوله: (إنَّ لكلِّ عملٍ شِرَّةً، ولكلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ)[4] فكلُّ اجتهادٍ وتشميرٍ يليه فتور، ومعرفة هذا الأمر قبل الاجتهاد مفيدة في إدارة النفس وقيادتها، ومن ذلك أن يعرف المرء نفسه وما تطيق، فلا يكلفها فوق طاقتها، فمن الجور مثلاً أن يلتزم الموظف سهر الليل كله في التلاوة والقيام وعنده عملٌ في الصباح الباكر، ولو تحمَّل ذلك ليلةً أو ليلتين فهو سينقطع بعدها، وكذلك يُستبعَد ممن هو مقصِّرٌ في تلاوة القرآن خلال العام كله أن يتمكَّن من ختم القرآن خمس مرات في الشهر الكريم، والصحيح أن يرفع المسلم من وتيرة عمله بمقدار يعرف من نفسه وظروفه القدرة على التحمل والمواصلة.

وما أجمل توجيه النبي ﷺ: (إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، ولَن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غَلَبَهُ، فَسَدِّدوا وقارِبوا وأَبْشِروا،

(١) أخرج البخاري (١١٤٧) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: «ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسل عن حُسْنِهنّ وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا».

(٢) أخرجه أبو داود (١٣٧٥) والترمذي (٨٠٦) والنسائي (١٤٦٣) وغيرهم.

(٣) أخرجه مسلم (١١٧٥) عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه أحمد (٦٧٦٤)، والشرة: بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء: الحرص على الشيء والنشاط له. والفترة، بفتح فسكون: ضده.

واسْتَعِينوا بِالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ)[1].

قال ابن رجب رحمه الله: «معنى الحديث: النهيُ عن التشديد في الدين، بأن يحمِّل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفةٍ شديدة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: (لن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه) يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة ، فمن شادَّ الدين غلبه وقطعه»[2].

وفي ذات الوقت يعرف الجميع روادًا لا يعرفون خور الهمة، فتجدهم على وتيرة واحدة من أول رمضان إلى آخره، بل تراهم معتكفين في العشر الأواخر، لا تفتقدهم المساجد إلا لسفر أو مرض، وذلك عائد إلى ترويضهم لنفوسهم منذ مدة طويلة، وعلموا أن أنفسهم تطيق هذه الأعمال الكبيرة فاجتهدوا وبذلوا.

غصة وحسرة:

رمضان شهرٌ عرف المسلمون فيه العزة والمنعة، وحققوا فيه انتصارات غيَّرت مجرى التاريخ، وحُفرت في ذاكرة البشرية، على رأسها غزوة بدر التي كانت فرقانًا بين الحق والباطل، وفتحُ مكة الذي كان إيذانًا ببسط الإسلام نفوذه على جزيرة العرب، ومعركةُ القادسية التي كانت نهاية لدولة الأكاسرة، وكذلك فتح الأندلس على يد طارق بن زياد، وبعدها الزلاقة التي أنقذ فيها المرابطون الأندلس من السقوط، وموقعة حطين التي حررت بيت المقدس من الصليبيين، وعين جالوت التي أوقفت زحف التتار إلى مصر وكسرت شوكتهم.

لكن الحال في أيامنا هذه ليس كذلك، فبلاد الإسلام واقعة في أسر الدول الاستعمارية الكبرى، يعيثون فيها فسادًا وإفسادًا؛ بقتل أهلها ومحاربة أخلاقهم وقيمهم، ونهب خيراتها والتحريش بينهم، وتولية ودعم من لا يرقب فيها إلاً ولا ذمة، فهذه الشام في عامها الثاني عشر، وليس بعيدًا عنها التمزيق الذي حصل في العراق وليبيا واليمن والسودان، والجرح النازف الذي يشاهده العالم اليوم في غزة حيث تباد وتدمر، ويمنع الطعام والشراب عن أهلها، حتى مات كثير منهم جوعًا وعطشًا.

وهذا يدعو الأمة لأمرين:

» العمل على استعادة سابق عهدها من العزة والمنعة، ومجاهدة الباطل وأهله، بكل السبل المشروعة.

» التكافل والتضامن مع الجوعى والمكلومين من أهل غزة وغيرهم، ومدهم بالمال وما يمكن من المساعدة.

ولو تخفف المسلمون من أنواع الأطعمة وأصناف الموائد الرمضانية وبذلوها لإخوانهم لكان ذلك دليلًا على كمال الإيمان والشعور بالإخوّة الإسلامية، وهو بعض الواجب تجاههم قال ﷺ: (ليس بمؤمن من بات شبعان وجارُه إلى جنبِه جائعٌ وهو يعلمُ)[3].

بعد الرحيل:

كما تترقب النفوس دخول رمضان، فكذلك تترقب قدوم العيد الذي هو في حقيقته يوم شكر وذكر لله تعالى، وبمجرد الإعلان عن دخوله يمر شريط الشهر أمام عيني المؤمن الحريص، فيغتبط مَن اجتهد وتعبَّد واغتنم الساعات والليالي، ويشعر بالندم مَن فرط وفوَّت الأوقات والفرص.

والعيد في حقيقته هو يوم الجائزة، وإذا كان للصائم فرحة عند فطره[4]، فالفرحة باكتمال الطاعة وأداء فريضة الصوم يوم العيد لا تقل عن الفرحة اليومية، بل قد تفوقها، فتلك فرحة بإتمام اليوم، وهذه فرحة بإتمام الشهر.

والتكبير شرع في العيد لمقاصد وحكم، ولعل منها تأكيد الفرح والسرور بتمام الطاعة٪ والتكبير عند الفرح والسرور أمر مستفيض في السنة، مشهور عند السلف، ومن أمثلة ذلك: أن النبي ﷺ لما أخبر أصحابه أنهم ربع أهل الجنة، ثم ثلث أهل الجنة، ثم شطر أهل الجنة، كانوا يكبرون في كل مرة[5]. وكذلك كبر النبي ﷺ لهلاك فرعون الأمة أبي جهل، وكبر لولادة أم سليم عبدَالله بنَ أبي طلحة رضي الله عنهم أجمعين، وكذلك كان الصحابة والتابعون والمسلمون من بعدهم يفعلون.

وما أحسن أن يجلس المؤمن مع نفسه للمحاسبة والتقويم بعد نهاية الشهر الكريم، فينظر هل تحقق مقصد التقوى المذكور في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؟ وذلك بأن يكون حالُه بعد رمضان خيرًا من حاله قبله، ومَن كان كذلك فقد استفاد مِن الموسم، ويرجى لعمله القَبول.

(١) أخرجه البخاري (٣٩).
(٢) فتح الباري، لابن رجب (١٤٩/١).
(٣) أخرجه أبو يعلى (٢٦٩٩)، والبيهقي (٢٠١٦٠) باختلاف يسير.
(٤) أخرج مسلم (١١٥١): (للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه).
(٥) أخرجه البخاري (٤٧٤١).

قضايا معاصرة

فاعلية الأمم المتحدة في الكوارث: إشكالات وتشوهات مستمرة

أ. نورس العبد الله (*)

في مختلف أنواع الأزمات والكوارث التي تعيشها المجتمعات الإنسانية يقع على عاتق الأمم المتحدة ووكالاتها الإنسانية واجب قيادة الجهود التي من شأنها التخفيف من المعاناة الإنسانية؛ وهي الأدوار التي تستند «معياريًا» لمجموعة من المبادئ الرئيسية المعتمدة؛ إلا أن استقراء طبيعة هذه الأدوار في تجارب سابقة -كالعراق- أو حالية -كسوريا وغزة- تظهر وجود مجموعة واسعة من الإشكالات؛ كغياب الحياد والنزاهة وسياسة الكيل بمكيالين، الأمر الذي يستدعي الوعي بالفجوات بين النصوص والممارسات والحرص في التعاطي مع المؤسسة الدولية.

تمهيد:

لطالما شهدت المجتمعات الإنسانية كوارث وأزمات مختلفة تتعدد تبعًا لمصادرها إلى نوعين رئيسيين؛ هما: الأزمات والكوارث ذات المصدر البشري كما في حالة النزاعات المسلحة[١]، والكوارث والأزمات ذات المصدر الطبيعي كحالة الزلازل والفيضانات.. إلخ[٢].

عادةً ما تؤدي أيٌّ من هذه الكوارث وخاصة في حالات النزاع المسلح إلى أضرارٍ جسيمة بالبشر عبر ما تُخلِّفه من قتلى ومصابين ومشرَّدين داخليًا أو لاجئين خارج الحدود، وتنعكس آثارها الأليمة بشكل محدد على الفئات الأكثر ضعفًا كالأطفال والنساء وكبار السن وذوي الإعاقة، وهو ما يجعل المجتمع المعرض لهذه الكارثة بأمس الحاجة للمساعدة بمختلف أشكالها.

(*) ماجستير في القانون العام، باحث سياسي وناشط في العمل المدني والمجتمعي.

(١) تنقسم النزاعات المسلحة إلى نوعين رئيسيين هما النزاعات المسلحة الدولية (IAC) التي تحدث بين دولتين أو أكثر؛ والنزاعات المسلحة غير الدولية (NIAC) التي تحدث بين الدولة والجماعات المسلحة غير الحكومية أو بين الجماعات المسلحة فقط. للتوسع ينظر: تصنيف النزاع المسلح، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، الموقع الرسمي.

(٢) يتم تقديم تعريفات عديدة للكارثة أو الأزمة من أشهرها تعريف الأمم المتحدة للكوارث بأنها: «اضطراب خطير في سير الحياة في جماعة أو مجتمع على أي نطاق بسبب أحداث خطيرة تتفاعل مع ظروف التعرض للأخطار والضعف والقدرة، بما يؤدي إلى واحدة أو أكثر من الخسائر والآثار التالية: الخسائر والآثار البشرية والمادية والاقتصادية والبيئية». تقرير فريق الخبراء العامل الحكومي الدولي المفتوح العضوية المعني بالمؤشرات والمصطلحات المتعلقة بالحد من مخاطر الكوارث، الأمم المتحدة، الجمعية العامة، الدورة ٧١، وثيقة رمز: ٦٤٤/A٧١، ٢٠١٦/١٢/١م، ص (١٥).

في هذا السياق يبرز دور الأسرة الدولية من حيث تفعيل المبادئ التي يقوم عليها القانون الدولي كواجب التعاون والتضامن الدولي والمساعدة الإنسانية المحايدة وغير المتحيزة... إلخ، استنادًا إلى العديد من الصكوك الدولية المتمثلة أساسًا في ميثاق الأمم المتحدة[١]، والقانون الدولي الإنساني[٢]، والقانون الدولي لحقوق الإنسان، بالإضافة إلى بعض الصكوك الدولية ذات الصلة بموضوع المساعدة الإنسانية[٣]، وذلك بهدف التخفيف من المعاناة واتخاذ التدابير الكفيلة بالحد من الخسائر وعلى وجه السرعة.

بناء عليه لم تعد المساعدة الإنسانية في ظل الكوارث والأزمات قائمة على المبادئ الأخلاقية والطبيعة الإنسانية فحسب، بل أصبحت في ظل تطور قواعد القانون الدولي المعاصر قواعد لها أساسها القانوني دون أن تصل لمرحلة الإلزام بطبيعة الحال، وبات التنظيم المؤسساتي على الصعيد الدولي حاضرًا من حيث المبدأ عبر شتى أنواع التدخلات كالتدخلات الإنسانية عبر المساعدات أو عبر عمليات المساعي الحميدة والوساطة أو حفظ وبناء السلام[٤]، حيث تتولى الأمم المتحدة ووكالاتها الإنسانية بوصفها المؤسسة الدولية الأهم التي تعنى بالتدخل لغايات إنسانية انطلاقًا من مجموعة المبادئ الرئيسية المعتمدة وهي: الإنسانية والحياد وعدم التحيز والاستقلالية وما يتفرع عنها حكمًا في معرض التطبيق العملي من مبادئ معتمدة كالشفافية والمشاركة والنزاهة[٥]، وأصبحت الجهة المناط بها قيادة التدخلات الإنسانية والتنسيق مع طيف واسع من الشركاء[٦].

كل ما سبق يمثل قضايا من الصعب الاختلاف عليها لارتباطها من حيث الأصل بالقيم الإنسانية بما فيها قيم الشريعة الإسلامية الغراء والتي نظمت مساعدة الآخرين عبر أبواب عديدة كالصدقة والزكاة[٧]، وقدمت أساسًا متكاملاً لقواعد الحرب وأخلاقياتها، واحترام الكرامة الإنسانية قبل تطور القانون الدولي الإنساني بقرون طويلة[٨]؛ إلا أن الانتقال من النصوص والمنطلقات النظرية عمومًا إلى الواقع المعاش في ظل ما شهدناه في الفترة الراهنة من مآسٍ إنسانية كبيرة في سوريا وغزة واليمن وما سبقها من مآسٍ عديدة كحرب البوسنة والهرسك، يطرح قضايا عديدة جديرة بالاهتمام والبحث.

ترتبط هذه القضايا بشكل أو بآخر بالدور الذي تقوم به فعليًا أهم مؤسسة دولية وهي الأمم المتحدة ووكالاتها لتخفيف المعاناة الإنسانية، فعلى الرغم من وجود جهود عديدة لا يمكن إنكارها من خلال برامج إنسانية وعمليات وساطة ومساعي لتطبيق بعض المبادئ والتخفيف من تبعات الكوارث والأزمات على المجتمعات، إلا أن الكثير من الشواهد والممارسات تظهر أن الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة في كثير من الحالات جاء مخالفًا للمبادئ سالفة الذكر من حيث غياب الحياد والنزاهة، وسياسة الكيل بمكيالين وصولاً للفشل في تحقيق الأهداف المعلنة أو حتى التسبب بمزيد من الضرر للضحايا. وهو ما يمكن استقراؤه من خلال تتبع مجموعة من التجارب السابقة والحالية.

(١) على سبيل المثال تنص المادة ١، فقرة ٣ على: «تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإنسانية وعلى تعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس جميعًا والتشجيع على ذلك إطلاقًا بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء». ينظر: ميثاق الأمم المتحدة، الأمم المتحدة، الموقع الرسمي.

(٢) ينظر على سبيل المثال المادة رقم ٥٩ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م.

(٣) ينظر: المساعدة الإنسانية في ظل قواعد القانون الدولي المعاصر، للدكتور عبد الله بن جداه، ص (٢) وما بعدها.

(٤) ينظر: صون السلم والأمن الدوليين، الأمم المتحدة، الموقع الرسمي.

(٥) اعتمدت الأمم المتحدة هذه المبادئ المستمدة من القانون الدولي الإنساني في قراري الجمعية العامة رقم ١٨٢/٤٦ و١١٤/٥٨. كذلك تم الاعتراف بها وبأهميتها عالميًا في مدونة قواعد السلوك الخاصة بالحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر والمنظمات غير الحكومية في مجال أعمال الإغاثة في حالات الكوارث والمعيار الإنساني الأساسي بشأن الجودة والمساءلة. للتوسع ينظر: المبادئ الإنسانية، المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، الموقع الرسمي.

(٦) أنشئت اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات في عام ١٩٩٢م استجابة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤٦/ ١٨٢ الذي دعا إلى تعزيز تنسيق المساعدة الإنسانية، وفي عام ١٩٩٣م أكدت الجمعية العامة من خلال القرار ٤٨/ ٥٧ دور اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات بصفتها الآلية الرئيسية للتنسيق بين الوكالات في مجال المساعدة الإنسانية وتشارك في هذه اللجنة الدائمة طائفة واسعة من شركاء الأمم المتحدة وغيرهم من الشركاء في المجال الإنساني.

(٧) أخرجَ الطبراني (٦١١٢) عَن سَلمانَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أهلُ المَعرُوفِ في الدنيا أهلُ المَعرُوفِ في الآخرةِ، وأهلُ المُنكَرِ في الدنيا أهلُ المُنكَرِ في الآخرةِ).

(٨) المبادئ الدولية لحماية ضحايا النزاعات المسلحة، لمريم بن عياد، دراسة مقارنة، مذكرة تخرج، جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي، معهد العلوم الإسلامية، ٢٠١٧/ ٢٠١٨م، ص (٣٧) وما بعدها.

على الرغم من وجود جهود عديدة لا يمكن إنكارها للأمم المتحدة ووكالاتها من خلال برامج إنسانية وعمليات وساطة ومساعي لتطبيق بعض المبادئ والتخفيف من تبعات الكوارث والأزمات، إلا أنَّ الكثير من التجارب تُظهر أنَّ الدور الذي قامت به الأمم المتحدة في كثير من الحالات جاء مخالفًا لمبادئها من حيث غياب الحياد والنزاهة، والكيل بمكيالين وصولاً للفشل التام، أو حتى التسبُّب بمزيد من الضرر للضحايا

تدخلات الأمم المتحدة في الأزمات والكوارث السابقة: الحياد القاتل للضحايا:

بالنظر إلى قائمة الكوارث والأزمات التي عايشتها المجتمعات الإنسانية خلال الفترة السابقة وتحديدًا نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين تبرز مجموعة من التجارب المختلفة، ولعلّ أبرزها يتمثل بكل من حالة البوسنة والهرسك وحالة العراق، وهما حالتان شهدتا نزاعات مسلحة دولية وغير دولية مما خلف أزمات إنسانية كبيرة.

» حرب الإبادة في البوسنة والهرسك: وصمة العار الأممية:

على إثر تفكك يوغسلافيا السابقة وإعلان البوسنة والهرسك لاستقلالها بعد استفتاء شعبي شهدت الدولة الوليدة أبشع الجرائم المرتكبة في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية على مدار ثلاث سنوات امتدت من عام ١٩٩٢م إلى عام ١٩٩٥م، وذلك جراء المذابح التي ارتكبتها بشكل رئيسي ميليشيات «أقلية» صرب البوسنة الأرثوذكسية المدعومة من الجيش الوطني اليوغسلافي بحق مسلمي البوسنة والهرسك (البوشناق)، من خلال اتباع سياسة تطهير عرقي وإبادة جماعية ممنهجة، وعمليات اغتصاب وتدمير واسعة النطاق للمدن والأعيان المحمية كالمساجد والمراكز الثقافية؛ مما أدى لسقوط قرابة مئة ألف مدني وتشريد أكثر من نصف السكان، فضلاً عن ارتكاب عشرات المذابح أمام أنظار المجتمع الدولي، ومن ضمنها واحدة من أكبر مذابح العصر الحديث وهي مذبحة سربرينيتشا التي قتل فيها (٨٠٠٠) بوسني مسلم[١].

خلال هذه السنوات كانت الأمم المتحدة حاضرة بشكل ميداني في البوسنة والهرسك، وفي معرض أدوارها قامت الأمم المتحدة بإعلان مدينة سربرينيتشا في أبريل عام ١٩٩٣م منطقة آمنة تحت حمايتها، وفرضت على المقاتلين البوسنيين الذين يحمون المدينة من المد الصربي نزعَ السلاح وتسليمَه، ليتم لاحقًا حصار المدينة من الميليشيات الصربية وتجويعها أمام مرأى ومسمع قوات الأمم المتحدة الممثلة بالكتيبة الهولندية، ليبدأ اجتياح المدينة وارتكاب مجزرة مروعة جماعية بحق الأبرياء لمدة أربعة أيام أمام الأمم المتحدة التي ثبت لاحقًا أن أدوارها لم تقتصر على نزع السلاح من الضعفاء وإعطاء الأمان الوهمي ومتابعة المجزرة، بل قامت الكتيبة الهولندية بتسليم المدنيين الذين لاذوا بها إلى الميليشيات الصربية[٢]، فيما اكتفت الأمم المتحدة ببيانات الإدانة والاعتراف بالعار والفشل[٣].

أعلنت الأمم المتحدة سربرينيتشا منطقة آمنة تحت حمايتها، وفرضت على المقاتلين البوسنيين الذين كانوا يحمون المدينة من المد الصربي نزعَ السلاح وتسليمَه، ليتم لاحقًا حصار المدينة من الميليشيات الصربية وتجويعها أمام مرأى ومسمع قوات الأمم المتحدة الممثَّلة بالكتيبة الهولندية، بل قامت تلك الكتيبة بتسليم المدنيين الذين لاذوا بها إلى الميليشيات الصربية، فيما اكتفت الأمم المتحدة ببيانات الإدانة والاعتراف بالعار والفشل

(١) للتوسع ينظر: حرب البوسنة والهرسك ١٩٩٢-١٩٩٥: أسبابها، أطرافها ومآلها، أ.د وليد دوزي، مجلة القانون والتنمية، المجلد ٤، العدد ٢، جولية ٢٠٢٣.

(٢) للتوسع ينظر: سربرنيتشا بعد ٢٠ عامًا.. العار الغربي ملطخ بالدماء، شبكة النبأ المعلوماتية، عبد الله مصطفى، محكمة في لاهاي: هولندا ضالعة في مذبحة سربرنيتشا، صحيفة الشرق الأوسط، ٢٤/يونيو/٢٠١٧.

(٣) صدرت مجموعة من التصريحات الأممية حول ذلك من أشهرها: تصريح كوفي عنان والذي قال فيه: «سيطارد تاريخنا إلى الأبد»، وتصريح بان كيمون الذي قال فيه: «لقد أنشئت الأمم المتحدة لمنع تكرار مثل هذه الجرائم، ولقد فشلت في حماية أرواح المدنيين الأبرياء الذين يلتمسون الحماية من الصراع والعنف من حولهم، إنها مسؤولية أمانة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، والدول الأعضاء». ينظر: الأمم المتحدة تحيي ذكرى ضحايا الإبادة الجماعية في سربينيتشا، البوسنة، الأمم المتحدة، الموقع الرسمي، الأمين العام للأمم المتحدة: خذلنا شعب سربرنيتسا قبل ربع قرن، موقع الجزيرة، ٢٠٢٠/٧/١٠.

» الأمم المتحدة في الحالة العراقية: من الشراكة في معاناة العراقيين إلى الشلل:

في أعقاب انتهاء حرب الخليج الثانية في تسعينيات القرن العشرين، تم فرض منظومة من العقوبات بحق العراق، شكلت بمجملها حصارًا اقتصاديًا شاملاً، وإشرافًا أمميًا على علاقات العراق الاقتصادية مع الدول من خلال برنامج «النفط مقابل الغذاء» الذي أقر في عام ١٩٩٥م[١]، وهو ما أدى لمعاناة المدنيين العراقيين جراء النقص الحاد في الغذاء والدواء والاحتياجات الأساسية[٢]، وأدى خلال سنوات الحصار بـ«القرار الأممي» إلى وفاة ما يزيد عن نصف مليون طفل عراقي، فضلاً عن ترهل الخدمات وضعف المؤسسات[٣]. بالمقابل: فإن هذا الحصار الشديد لم يشمل شمال العراق «منطقة إقليم كردستان العراق» والتي أحيطت بالرعاية الدولية «كمنطقة آمنة» لغايات سياسية من خلال قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٨ في ٥ نيسان ١٩٩١م بفرض حظر جوي، وهو ما سمح بنشاط المنظمات الإنسانية وبنشاط اقتصادي مهد لقيام الإقليم لاحقًا[٤].

فضلاً عن ذلك الدور الذي مارسته الأمم المتحدة شريكًا في حصار العراق دون استثناء للاحتياجات الإنسانية عمليًا، فقد لعبت فرق التفتيش الأممية التي تم تشكيلها -أونسكوم وأنموفيك- دورًا أساسيًا في ابتزاز العراق والتجسس عليه وتسهيل المخطط الأمريكي في غزوه لاحقًا وذلك من خلال تزوير الحقائق وتضليل الرأي العام حول وجود مؤشرات عن استمرار برامج أسلحة دمار شامل وعن عدم تعاون العراق مع الوكالة الذرية[٥].

أما بعد الغزو الأمريكي البريطاني عام ٢٠٠٣م، وعلى الرغم من كون الغزو قد حصل دون موافقة أممية بعد فشل الولايات المتحدة في استصدار قرار من مجلس الأمن الدولي، فقد كان صمت المؤسسة الأممية عن الغزو غير المشروع حيادًا أسهم في معاناة الشعب العراقي، إذ اكتفت المؤسسة الدولية التي يقع على عاتقها مهمة حفظ السلم والأمن الدوليين في هذه المرحلة ببعض التصريحات الخجولة التي جاء بعضها بعد عام كامل من الغزو، ولتكتفي ببعض الأدوار الإنسانية التقليدية كمساعدة اللاجئين والجرحى[٦].

> **لعبت الأمم المتحدة دور شريكٍ في حصار العراق دون استثناء للاحتياجات الإنسانية، فقد لعبت فرق التفتيش الأممية التي تم تشكيلها -أونسكوم وأنموفيك- دورًا أساسيًا في ابتزاز العراق والتجسس عليه وتسهيل المخطط الأمريكي في غزوه لاحقًا وذلك من خلال تزوير الحقائق وتضليل الرأي العام حول وجود مؤشّرات عن استمرار برامج أسلحة دمار شامل وعن عدم تعاون العراق مع الوكالة الذرية**

تدخلات الأمم المتحدة في بعض الأزمات والكوارث المعاصرة: أزمات أخلاقية واستجابات معطلة:

بالانتقال من التجارب الأقدم إلى التجارب المعاصرة تبرز بلا شك ثلاث من أكبر الأزمات الإنسانية والكوارث التي شهدتها المجتمعات الإنسانية في القرن الواحد والعشرين، وهي حالة اليمن وسوريا وأخيرًا غزة.

(١) يذكر وزير التجارة محمد مهدي صالح في كتابه (درء المجاعة عن العراق) المنشور سنة ٢٠٢٢م: «بيّن البحثُ وعبر تاريخ الأمم المتحدة ولغاية الآن أصدرَ مجلس الأمن قرارات بفرض حصار شامل لإجبارها على تنفيذ الأهداف الواردة في تلك القرارات واستثنى في تلك القرارات الغذاءَ والدواءَ والحاجاتِ الأساسيةَ الأخرى ومصادر تمويلها عدا حالة العراق الوحيدة والأولى والأخيرة لحد الآن التي شمل مجلسُ الأمنِ فيها الغذاءَ والدواءَ والحاجاتِ الأساسيةَ».

(٢) ينظر: التجارب الفاشلة لدور الأمم المتحدة في بناء السلام: العراق، سوريا، رينوار محمود، إبراهيم صالح، المجلة العلمية لجامعة جيهان-السليمانية، المجلد ٤ العدد ٢، ص (٣٦) وما بعدها.

(٣) تجاوزت معدلات وفيات الأطفال دون سن الخامسة بعد فرض العقوبات طبقًا لتقارير اليونيسيف ٤٠٠٠ طفل شهريًا، وأدّى ذلك إلى وفاة نصف مليون طفل عراقي في الفترة ما بين ١٩٩٠-١٩٩٨م. وتواصلت نسبة وفيات الأطفال في الارتفاع في أعوام الحصار التالية لغاية ٢٠٠٣م بسبب الأثر التراكمي لسنين الحصار. والجميع يتذكر مقابلة مادلين أولبرايت مع الصحفية ليسلي ستول في برنامج «ستون دقيقة» عام ١٩٩٦م عندما سألت الصحفية: هل إن موت نصف مليون طفل عراقي هو ثمن مستحق لاستمرار العقوبات؟ فأجابت أولبرايت: «نعم إنه ثمن مستحق». ينظر: طفل واحد من كل ٨ أطفال عراقيين يموت بسبب انهيار النظام الصحي والتلوث، ساجدة الموسوي، الصحيفة العربية، ٢٠١٠م.

(٤) ينظر: لإضعافه وتقويض قدراته العسكرية.. هذه أبرز خفايا الحظر الجوي على العراق عام ١٩٩١م، صلاح بابان، الجزيرة نت، ٢٠٢١/٤/٨م.

(٥) ينظر: المفتشون يتآمرون مع عملاء الاستخبارات ضد العراق، موقع الجزيرة، ٢٠٢٢/٧/٨م، لجنة الأمم المتحدة الخاصة، ويكيبيديا.

(٦) للتوسع ينظر: دور الأمم المتحدة في إدارة حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣، علي النعيمي، جامعة الإسكندرية، المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية، مجلد ٥، عدد ٩، يناير ٢٠٢٠.

» الأمم المتحدة في اليمن: تمكين الحوثيين وإهمال اليمنيين:

دخلت اليمن في أتون أزمة إنسانية كبرى جراء انقلاب تحالف الحوثيين -صالح على حكومة عبد ربه منصور هادي والثورة اليمنية في أيلول ٢٠١٤م، وعلى الرغم من الانقلاب وتبعاته وصدور قرار من مجلس الأمن الدولي برقم ٢٢١٦/لعام ٢٠١٦م والذي أدان جماعة الحوثي وفرض بعض العقوبات على قيادات فيها، فإن الممارسات العملية توجهت نحو تمكين التمرد بفعل التوجهات السياسية للدول الكبرى[١].

حيث تتعدد أساليب الدعم المباشرة وغير المباشرة التي قدمتها الأمم المتحدة وبعثاتها لجماعة الحوثيين؛ فعلى سبيل المثال انخرطت الأمم المتحدة في شراكة فاعلة مع هيئات الحوثي كمجلس الإغاثة وبدت كأنَّها جزء من الدعاية الإعلامية والشعبية للجماعة من خلال أساليب العمل الميدانية، حيث وقفت الأمم المتحدة ومنظماتها عاجزة عن إدخال أي مساعدات للمناطق المحاصرة من قبل الحوثيين كما حصل في مديرية «العبدية» عام ٢٠١٨، إلا أن الحال تغير بعد سقوط المديرية بيد الحوثيين حيث ظهر منسق الشؤون الإنسانية الأممي برفقة مدير مجلس الإغاثة الحوثي مع قوافل المساعدات للأهالي فيها، وهو ما دفع الحكومة الشرعية لإدانة هذا النهج الذي «يبيض من جرائم الحوثيين»[٢].

كذلك أسهمت طريقة إدارة المساعدات الإنسانية والبرامج الأممية وشبكات الفساد الناشئة في برامج الأمم المتحدة في اليمن في جعل الحوثيين المستفيد الأكبر من الدعم المقدم، وهو ما أسهم في دعم مشروعه وترسيخ سلطته مقابل تفاقم معاناة اليمنيين عامًا بعد آخر، حيث تصل المساعدات الأممية والإغاثية إلى أيدي الحوثيين الذين قاموا بإعادة توجيه المساعدات الإنسانية من خلال توزيع كميات هائلة من المساعدات على المسلحين التابعين لها والإنفاق على الحرب وشراء التجهيزات والمعدات، فضلاً عن تقديم الأمم المتحدة لمبالغ ومعدات بشكل مباشر في بعض الحالات كحالة مشاريع رفع الألغام، وتزويد الحوثيين بأعداد كبيرة من السيارات منها دفعة تقدر بـ ٤٠٠ سيارة إسعاف، وإقامة جسر جوي لنقل جرحى الحوثيين إلى الخارج ولمدة ستة أشهر[٣].

كما يظهر الانحياز بشكل جلي من خلال تتبع طريقة تعاطي المؤسسات الدولية في اليمن مع الأطراف والكيل بمكيالين في محطات عديدة، منها رفض اليونيسيف لتمويل الحكومة الشرعية لطباعة المناهج مقابل تمويل بألف طن من الورق ومستلزمات الكتب لطباعة المناهج في صنعاء، بما تضمنت من تغييرات وأفكار «طائفية»[٤].

في مقابل ذلك برزت فضائح عديدة ترتبط بالفساد والإهمال للواجبات الأساسية، منها فضيحة إدخال الأدوية والمواد الطبية المنتهية الصلاحية إلى مدينة تعز عام ٢٠١٧ [٥]، وما كشفته بعض الوكالات الغربية كتقرير وكالة أسوشيتد برس الأميركية قبل سنتين تحقيقًا استقصائيًا أكدت فيه وجود تلاعب يمارسه مكتب الصحة العالمية واليونيسيف في صنعاء، شمل الموافقة على عشرات العقود المشبوهة دون الأوراق المطلوبة، وأن أطنانًا من الأدوية والوقود المتبرَع بهما ذهبت في عِداد المفقودين[٦]. وفي سياق كهذا فضلاً عن العوامل الأخرى تستمر المعاناة الإنسانية في الازدياد حيث يحتاج (١٣) مليون طفل في اليمن إلى مساعدات إنسانية وفق إحصائيات اليونيسيف، ويوجد مليونا نازح داخليًا، كما يعاني أكثر من نصف سكان اليمن من انعدام الأمن الغذائي[٧].

> **أسهمت طريقة إدارة المساعدات الإنسانية والبرامج الأممية وشبكات الفساد الناشئة في برامج الأمم المتحدة في اليمن في جعل الحوثيين المستفيد الأكبر من الدعم المقدم، وهو ما أسهم في دعم مشروعه وترسيخ سلطته مقابل تفاقم معاناة اليمنيين عامًا بعد آخر**

(١) ينظر: تمكين التمرد في اليمن: الحوثي والانتقالي نموذجًا، أنور بن قاسم الخضري، المخا للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢٣م.
(٢) ينظر: انحياز الأمم المتحدة للحوثيين.. فضائح متواصلة ودور «قذر» يعمق مأساة اليمنيين (تقرير)، لحج برس، ٢٠٢١م، شوهد في: ٢٠٢٣/١٢/٢٤م.
(٣) تماهي الأمم المتحدة شجع الحوثيين على خرق الهدنة.. ونسف جهود السلام، الرشاد برس، ٢٠٢٢/٧/٢٥م.
(٤) الحوثيون والمساعدات الأممية.. بين النهب المنظم والتنسيق المشبوه، عبد الرحمن أمين، الإصلاح نت، ٢٠٢١/١٢/٢٦م.
(٥) الأمم المتحدة تدخل إمدادات طبية وغذائية منتهية الصلاحية إلى اليمن، المرصاد، ٢٠١٧/٥/٩م.
(٦) فضيحة جديدة في مسلسل فساد منظمات الأمم المتحدة في اليمن التي عمقت الأزمة الإنسانية، الإصلاح نت، ٢٠٢٢/٥/٢٦م.
(٧) التقرير العالمي ٢٠٢٣م، اليمن ٢٠٢٢م، هيومن رايتس ووتش، الموقع الرسمي.

من صور تقصير وإشكالات المنظمات الأممية في الكوارث

» الأمم المتحدة في سوريا: الخضوع للابتزاز في الملفات السياسية والإنسانية:

تمثلت أبرز أدوار المؤسسة الأممية في الحالة السورية في جانبين اثنين؛ الأول يرتبط برعاية «مسار الحل السياسي» عبر المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا، والثاني من خلال إدارة الكم الكبير من البرامج الإنسانية خلال السنوات اللاحقة للثورة السورية، بما فيها مرحلة الاستجابة الإنسانية لكارثة زلزال شباط عام ٢٠٢٣م وما بعدها.

في التدخلات من أجل السلام أي عبر الوساطة السياسية وبغض النظر عن المبدأ الذي يتمثل بقبول نظام مجرم ارتكب كل جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية مع حلفائه بحق أبناء الشعب السوري كطرف وشريك في عملية سياسية، يقدم تتبع أدوار المبعوث الأممي أنه كان مجرد صدى للمواقف الدولية والإقليمية التي كانت في مجملها مسايرة للرؤية الروسية للحل في سوريا، من خلال تركيزه على اللجنة الدستورية، وتبني الرواية الروسية حول ملفي «البيئة الآمنة» والإرهاب؛ حيث أظهرت إحاطات المبعوث الدولي مدى أولوية فكرة محاربة الإرهاب في العملية السياسية وطغيانها على كثير من القضايا الجوهرية الأخرى، كإطلاق سراح المعتقلين أو هيئة الحكم الانتقالية، بالمقابل لم يحظ الملف الإنساني بالتركيز الكافي في إحاطات المبعوث الخاص مع عدم الإشارة عند استحضارها لمسؤولية نظام الأسد عن حرمان بعض المناطق من المساعدات، وحصاره لها كما كان الأمر في الغوطة الشرقية[١]، أو لانتقاد عمليات الابتزاز السياسي الذي اعتادت روسيا ممارسته في مجلس الأمن وتحديدًا منذ عام ٢٠٢٠م بما يتعلق بتمديد آليات إدخال المساعدات الإنسانية عبر الآلية الاستثنائية من المعابر الحدودية[٢].

بالانتقال إلى الصعيد الإنساني المباشر فقد أدت الحرب التي شنها نظام الأسد وحلفاؤه على السوريين لواحدة من أكبر المآسي الإنسانية، حيث شهدت حصارًا للمدن والبلدات وتجويعًا للسكان واستهدافًا للبنى التحتية والخدمات الأساسية.. إلخ، وهو ما أدى لوضع إنساني معقد تكشف عنه بعض الأرقام الأممية والتي تقدر أن (١٦,٧) مليون شخص سيحتاجون للمساعدة الإنسانية عام ٢٠٢٤م، بينهم (٥,٥) مليون نازح[٣].

(١) للتوسع ينظر: عندما تخضع المؤسسات الأممية لتوازنات الواقع: اتجاهات المبعوث الخاص إلى سوريا، د. أحمد قربي، نورس العبد الله، مركز الحوار السوري، ٢٠٢٣م.

(٢) ينظر: المساعدات الانسانية: بوابة لتعزيز التفاهمات الأمريكية الروسية في إطار سياسة «الخطوة مقابل خطوة»؟، مركز الحوار السوري، ٢٠٢١/١٢/١٤م.

(٣) ينظر: الجمهورية العربية السورية: نظرة عامة على الاحتياجات الإنسانية لعام ٢٠٢٤م (كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٣م)، مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، الموقع الرسمي.

ومع ضخامة التحديات الإنسانية في سوريا لم تكن الأمم المتحدة في كثير من الأحوال قادرة على الارتقاء لمستوى التحديات وخاصة في المناطق التي يسيطر عليها نظام الأسد، حيث خضعت بشكل شبه كلي في العديد من الملفات لمصالحه وألاعيبه، وباتت بسوء إدارتها وخضوعها رافدًا لاستمرار آلته في ارتكاب المجازر والانتهاكات بحق السوريين من خلال ما نجح نظام أسد في امتصاصه من أموال المساعدات المخصصة للشعب السوري[١]، وذلك عبر وسائل عديدة كالتعاقدات والمناقصات، ودعم واجهات نظام الأسد وأدواته المدنية[٢]، وفروقات أسعار الصرف[٣]، وصولاً لانخراط طبقة الشبيحة وأزلام النظام وأبنائهم في مكاتب ومؤسسات الأمم المتحدة[٤]، أو تلقي التمويل تحت مسمى منظمات وفرق مدنية[٥].

لم يقتصر هذا الضعف في الأداء الأممي في الملف الإنساني على آثار الحرب العسكرية، بل جاءت تبعات الكارثة الطبيعية المتمثلة في زلزال (٦) شباط «زلزال القرن» لتكشف اختلالاً كبيرًا في الأداء الأممي المطلوب «معياريًا» من حيث المبدأ رغم حضور صعوبات عملية دائمًا، حيث غابت الأمم المتحدة في الأيام الأولى الحاسمة عن تقديم المساعدات الأساسية بما فيها معدات الإنقاذ والإجلاء لمناطق شمال غرب سوريا وهي المنطقة الأكثر تضررًا على المستوى السوري، وذلك خضوعًا للابتزاز السياسي الذي مارسه نظام الأسد وحليفته روسيا، الأمر الذي أثار موجة غضب شعبية كبيرة في المنطقة، وتعالت أصوات السوريين بما فيهم المنظمات المدنية لإدانة ما اعتبر تخاذلاً أمميًا، ورغم اعتراف الأمم المتحدة بتقصيرها وتقاعسها في الاستجابة للمناطق المحررة حاولت الضغط على المنظمات العاملة وعلى رأسها الدفاع المدني من خلال تهديدات مباشرة من قبل فريق الإنقاذ التابع للأمم المتحدة الذي طالب تلك المنظمات بالصمت[٦].

فشلت الأمم المتحدة في الارتقاء لمستوى التحديات في سوريا وخاصة في المناطق التي يسيطر عليها نظام أسد، حيث خضعت لمصالحه وألاعيبه، وباتت بسوء إدارتها وخضوعها رافدًا لاستمرار آلته في ارتكاب المجازر والانتهاكات بحق السوريين عبر وسائل عديدة كالتعاقدات والمناقصات، ودعم واجهات النظام وأدواته المدنية، وفروقات أسعار الصرف، وصولاً لانخراط أزلام النظام وأبنائهم في مكاتب ومؤسسات الأمم المتحدة، أو تلقي التمويل تحت مسمى منظمات وفرق مدنية

» الأمم المتحدة أمام استحقاق غزة: التصريحات الخجولة ستار للفشل الذريع:

يشهد العالم حاليًا حرب إبادة شاملة على المدنيين والأبرياء في غزة من قبل الاحتلال الصهيوني مدعومًا -ماديًا ومعنويًا- بدول ومؤسسات وشخصيات غربية لطالما تشدقت بحقوق الإنسان ورقي الإنسانية والقانون الدولي، حيث بلغ عدد الضحايا قرابة (٢٧) ألف شهيد و (٦٧) ألف مصاب وفق آخر الاحصائيات حتى مطلع شهر شباط الجاري[٧].

في ظل هذه المجزرة المستمرة وقفت الأمم المتحدة عاجزة عن فعل أي شيء، فعلى الرغم من وجود تصريحات يمكن للبعض أن يعتبرها «جريئة نسبيًا» لجهة الدعوة لوقف إطلاق النار أو اعتبار ما يحصل جريمة مروعة، أو التأكيد على احترام القانون الدولي الإنساني وتحميل إسرائيل للمسؤولية، فإن مجمل هذه التصريحات حتى من حيث المعيار الشكلي جاءت أقل حزمًا وأكثر تواضعًا من المواقف التي يجب على المؤسسة الدولية أن

(١) المساعدات الإنسانية الأممية.. كيف استولى عليها نظام الأسد واستغلها لخدمة أجندته؟ موقع الجزيرة، ٢٠٢٣/٣/٢٥م.

(٢) ينظر على سبيل المثال: أربع استراتيجيات في تطويع الهلال الأحمر السوري: من مجرد أداة إلى جهاز أمني، نورس العبد الله، منتدى الحوار الشبابي، ٢٠٢٣/٣/٧م.

(٣) كيف يقوم نظام الأسد بتحويل عشرات الملايين من المساعدات بشكل منهجي، ناتشا هول وآخرون، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية (CSIS)، ومركز أبحاث مركز العمليات والسياسات، ٢٠٢١/١٠/٢٠م.

(٤) «وظفوا ابنة مدير المخابرات».. تقرير يكشف تشابك علاقات الأمم المتحدة بنظام الأسد، الحرة، ٢٠٢٣/٣/٨م.

(٥) ينظر: نظام مغشوش: سياسات الحكومة السورية لاستغلال المساعدات الإنسانية وتمويل إعادة الإعمار، هيومن رايتس ووتش، ٢٠١٩/٦/٢٨م.

(٦) للتوسع ينظر: هل كانت استجابة الأمم المتحدة في سوريا بحجم الكارثة؟ كندة حواصلي، مجلة رواء، العدد التاسع عشر، ٢٠٢٣/٣/٢٠م.

(٧) وفق وزارة الصحة الفلسطينية فإن «الإبادة الجماعية جعلت واحدًا من كل ٢٠ فلسطينيًا في غزة إما شهيدًا أو جريحًا أو مفقودًا». ينظر: أبرز تطورات اليوم الـ ٩٩ من الحرب الإسرائيلية على غزة، الجزيرة نت، ٢٠٢٤/١/١٣م.

تعلنها إزاء ضرب كل المبادئ والقيم الإنسانية[١]، كما حرصت في كثير من الأحيان على العزف على وتر الدعاية الإسرائيلية لجهة استحضار هجوم طوفان الأقصى وتفهم «المأساة» الناجمة عنه[٢].

أما من حيث الجهود الفعلية يمكن القول بأن التقاعس عن القيام بالواجبات الأساسية المنوطة بالمؤسسة الدولية يمثل السمة العامة حاليًا، إذ لم تستسلم المؤسسة للأمر الواقع تحت شعار «الشلل» بسبب الموقف الأمريكي وتعطل مجلس الأمن وحسب[٣]، بل يمكن ملاحظة مدى الاستهتار الكبير أيضًا والذي يتضح من خلال عدم بذل الجهود المطلوبة لتنفيذ الواجبات الأساسية في ميادين إنسانية كالصحة والإيواء والغذاء، فعلى سبيل المثال ألغت منظمة الصحة العالمية للمرة الرابعة مهمة توصيل الإمدادات الطبية في غزة بسبب غياب الضمانات[٤]، واكتفت إزاء ذلك بالتحذير من استمرار الكوارث وبإطلاق دعوات للأطراف ذات الصلة لتأمين الوصول الإنساني[٥].

لم يخلُ المشهد المروع أيضًا من بعض الفضائح التي تحيل إلى تاريخ طويل من الاستهتار وشبهات الفساد من أجهزة وكوادر أممية، من هذه الحالات ما أظهرت حادثة اقتحام الآلاف من النازحين جنوب قطاع غزة مركز الإمدادات الغذائية التابع لوكالة الأمم المتحدة «أونروا»، والذي ضم كميات كبيرة من المواد الغذائية المخزنة، رغم تصريحات سابقة عن نقص المخزون، وما رافقه من اتهامات رسمية وغير رسمية عن تأخير الوكالة للمساعدات الغذائية[٦].

خاتمة:

بناء على ما تم استقراؤه من تجارب مختلفة كانت فيه المجتمعات الإنسانية بأمس الحاجة لمختلف أوجه المساعدة بما فيها بناء السلام والاستجابة للاحتياجات والتعافي من الأزمات، يبدو جليًا مدى إشكالية وتشوه الممارسة الأممية عبر التدخلات المختلفة، وهو الأمر الذي يحيل بشكل أو بآخر إلى منظومة القانون الدولي ومبادئه وأزمات ازدواجية المعايير وتسييس المبادئ المجردة من جانب، وإلى ضرورة نزع القداسة التي يراد إسباغها على المؤسسة الأممية وهياكلها وشعاراتها وخاصة لدى شعوب المنطقة والعالم كالشعوب الإفريقية واللاتينية كي لا تقع ضحية التوقعات والدعاية الغربية.

إلا أن ذلك لا يعني بشكل أو بآخر نسف القيم الأساسية التي تقوم عليها بعض أسس هذه التدخلات، كواجب التضامن الدولي وحماية الفئات الأكثر هشاشة.. والتمييز بين المقاتلين والمدنيين وحماية الأعيان المحمية كدور العبادة والمراكز الطبية.. إلخ، ولا يعني أيضًا إنكار وجود جهود تحمل هذه المعاني حتى في سلوكيات المنظمات الأممية[٧]، أو بعض شخوصها، لكنه مع الأسف لا يشكل سمة عامة يمكن المراهنة عليها.

وقفت الأمم المتحدة عاجزةً عن فعل أي شيء تجاه المجازر المروعة على أهل غزة، وبالرغم من وجود تصريحات تدعو لوقف إطلاق النار أو اعتبار ما يحصل جريمة مروعة، فإن مجمل هذه التصريحات جاءت أقل حزمًا وأكثر تواضعًا مما ينبغي إزاء ضرب كل المبادئ والقيم الإنسانية، فضلاً عن العزف على وتر الدعاية الإسرائيلية وتفهم «المأساة» الناجمة عن طوفان الأقصى

(١) ينظر على سبيل المثال: مجازر مستمرة في غزة.. هل حقًا نحن مستعدون للعيش بدون الأمم المتحدة؟ الجزيرة نت، ٢٠٢٣/١١/٦م.

(٢) على سبيل المثال: صرح المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة فولكر تورك: بعد شهرين على «الهجمات المروعة التي نفذتها حماس ومجموعات فلسطينية مسلحة أخرى على إسرائيل... مازال المدنيون في غزة يتعرضون لقصف إسرائيلي متواصل ولعقاب جماعي». ينظر: الأمم المتحدة: الفلسطينيون في قطاع غزة يعيشون في «رعب مطلق»، القدس العربي، ٢٠٢٣/١٢/٦م.

(٣) ينظر: دعت لوقف النار.. المقررة الأممية في فلسطين: الأمم المتحدة مشلولة، العربي الجديد، ٢٠٢٣/١٢/٢٧م.

(٤) الصحة العالمية عاجزة عن تسليم إمدادات طبية لشمال غزة بسبب استمرار العدوان الصهيوني، رندة رشيدي، قناة الجزائر الدولية، ٢٠٢٤/١/٨م.

(٥) الأمم المتحدة: قطاع غزة أصبح مكانًا غير صالح للسكن، مركز الاتحاد للأخبار، ٢٠٢٤/١/٧م.

(٦) فضيحة الأمم المتحدة وقصة اكتشاف مخازنها المليئة بالمساعدات في غزّة، يمن إيكو، ٢٠٢٣/١١/١م.

(٧) للتوسع في جدلية القانون الدولي ومنظومة الحقوق والحريات ينظر: الحقوق والحريات: بين الرفض المحمَّل بتبعات ازدواجية المعايير والتشبُّث نتيجة الحاجة الفردية والمجتمعية، د. أحمد قربي وآخرون، تقرير صادر عن وحدة التوافق والهوية المشتركة في مركز الحوار السوري، ٢٠٢٣/١١/١٤م.

منطلقات العلاقة مع البيئة في ضوء نظرة المسلم للكون

د. جمال الفرا (*)

للمسلم نظرة خاصة للكون والحياة، تنطلق من عبوديته لله تعالى، واستخلافه في الأرض لعمارتها والاستعانة بما فيها لعبادة الله والفوز في الآخرة؛ فما على الأرض من المخلوقات والثروات مسخَّر له بأمر الله، وهو مُستأمن عليه، يسير فيه بهدي الإسلام ونور الوحي، وفي هذه المقالة توضيح للأسس التي تضبط تصوُّر المسلم وتعامله مع ما يحيط به من كون ومخلوقات.

يتنادى العالم للالتقاء على مشتركات تحمي سكان الأرض من الآثار السيئة للتعامل مع البيئة، ويجتمع زعماء العالم في مؤتمرات دولية مختصَّة في مجال البيئة، أشهرها ما أطلق عليه اسم قِمّة الأرض(١)، ولكل مُدافع عن نقاء البيئة منطَلَقُه الذي ينبع من اعتقاد أو مصلحة أو فكرة أو غير ذلك من المنطلقات البشرية.

غير أنَّ الإنسانية بحاجة إلى الاسترشاد بهدي الوحي لضبط حركة الإنسان وتعامله مع الكون، فيُصلح بهدي الإسلام ما أفسده الإنسان في بيئته وينطلق إلى استثمار هذا الكون في عبادة الله وإعمار الأرض.

والبيئة في مفهومها العام هي: «الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقوِّمات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر»(٢).

(*) خطيب وداعية.

(١) في عام ١٩٩٢م انطلقت أعمال «قمة الأرض» التي نظمتها الأمم المتحدة في ريو دي جانيرو في البرازيل، وقد جمعت القمة أكثر من ١٠٠ رئيس حكومة، وأكثر من ٢٠٠٠ منظمة غير حكومية، لمناقشة المشاكل المرتبطة بالتدهور البيئي والتنمية المستدامة، ونتج عنها اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ والتي أصبحت بمرور الوقت قانونًا دوليًا ملزمًا، وصدقت ١٩٧ دولة عليها.

(٢) البيئة ومشكلاتها، لرشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، ص (٢٤-٢٥).

وتُعرَّف البيئة في دائرة المعارف البريطانيَّة بأنها: «مجموع العوامل الطبيعيَّة والكيميائيَّة والحيويَّة التي تعمل على كائنٍ حيٍّ أو مجتمعٍ بيئيٍّ، وتُحَدِّد بشكل تامٍّ شكله وبقاءه»[١].

فالبيئة جزء من الكون وعلاقة الإنسان بها تظهر من خلال نظرة الإنسان للكون، وسنورد بعض المنطلقات المتعلقة بالعقيدة والفكر وفلسفةِ الفَهمِ العام للإسلام، ولعل الجانب الفقهي والأخلاقي والوظيفي المتعلق بعلاقة الإنسان مع البيئة هو أثر من آثار تلك المنطلقات، فترشيد الاستعمال للموارد جانب أخلاقي مرتبط بمنطلق استخلاف الإنسان في الأرض، والنهي عن الإسراف كالزيادة عن ثلاث مرات في غسل الأعضاء في الوضوء مثلاً جانب فقهي مرتبط بمنطلق عبودية الإنسان لله.

تعامل الإنسان مع البيئة عائد إلى معتقداته وتصوراته:

الخلل الواقع في التعامل مع البيئة هو نتاج النظرة الخاطئة للكون وما يترتب على تلك النظرة من تصرفات.

فالمعتقدات هي التي تضع الإطار العام لنظرة الإنسان للكون، فإذا كانت المعتقدات وضعية تخضع للأهواء والمصالح الشخصية والعقول البشرية والتجارب القاصرة على الأمكنة والأزمنة فهي ناقصة مهما حاول أصحابها تقديمها في قالب زخرفي.

وأما إذا كانت المعتقدات مستمدة من وحي خالق الكون والإنسان والبيئة -خالق كل شيء سبحانه- فلا شك أنها تملك من المعايير الدينية والأخلاقية ما يحافظ على توازن البيئة والمحافظة عليها.

قال الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. جاء في تفسير هذه الآية: «ويجوز أن يكون المعنى أنَّ الله تعالى خلق العالم على نظام مُحكَم مُلائم صالح للناس، فأحدث الإنسان فيه أعمالاً سيئة مفسدة، فأخذ الاختلال يتطرق إلى نظام العالم»[٢].

> **المعتقدات هي التي تضع الإطار العام لنظرة الإنسان للكون؛ فإذا كانت مستمدة من وحي خالق الكون والإنسان والبيئة -خالق كل شيء سبحانه- فلا شك أنها تملك من المعايير الدينية والأخلاقية ما يحافظ على توازن البيئة والمحافظة عليها**

» النظرة المادية:

المعتقَد السائد في الحضارة المادية يميل إلى اعتبار سيطرة الإنسان على البيئة سيطرةً مطلقةً من القيود، يتحكَّم فيها على النحو الذي يريد، بعيدًا عن الأخلاق والمعتقدات الدينية، فظهر أثر ذلك في الفساد في الأرض والاختلال الواضح في عناصر النظام البيئي، وأضحت الموارد الطبيعية عرضة للتهديد في بقائها وتجددها واستقرارها ونمائها وهذه هي العوامل الأربعة الأساسية في التوازن البيئي[٣].

من أمثلة الفساد البيئي عند أصحاب النظرة المادية للكون: الاستهلاك المفرط للموارد الطبيعية، بدوافع الجشع وحب السيطرة وجني المال، دون نظر في مآلات هذا الفعل على تلوث البيئة وإفساد معيشة الناس والارتفاع الحراري، ويعتبر تدخل الإنسان المباشر في البيئة سببًا رئيسًا في اختلال التوازن البيئي، فتغيير معالم الطبيعية من تجفيف للبحيرات وبناء السدود، واقتلاع الغابات وردم المستنقعات واستخراج المعادن، ومصادر الاحتراق، وفضلات الإنسان السائلة والصلبة والغازية، بالإضافة إلى استخدام المبيدات والأسمدة، كلها عوامل تؤدي بالضرورة إلى اختلال التوازن البيئي[٤].

» النظرة الخرافية:

في مقابل النظرة المادية تقف النظرة الخرافية التي تجعل الكون هو المتصرِّف في أفعال العباد، فيخضع له أصحاب هذا الاعتقاد خضوع المستسلم الذي يخاف غوائل الكون؛ كما كان أهل الجاهلية يعتقدون عندما يرون كسوف الشمس، قال الخطّابي: «كانوا في الجاهلية يعتقدون أنَّ الكُسوف يوجب حُدوث تغير في الأرض من موت أو ضرر»[٥]، وكذلك من يخضع اليوم لفيضانات الأنهار المقدسة

(١) موقع موسوعة دائرة المعارف البريطانية على الإنترنت، مادة (بيئة).
(٢) تفسير التحرير والتنوير (١١٢/٢٢).
(٣) ينظر: مجلة المنار للدراسات والبحوث القانونية والسياسية - مجلد ٣ العدد ٢ / بحث: ظاهرة اختلال التوازن البيئي.
(٤) المرجع السابق.
(٥) فتح الباري (٦١٣/٢).

في اعتقاده ولا يحاول أن يمنع دمارها بحجة أنها هي المتصرِّف فيه وفي أفعاله.

منطلقات أساسية للتصور الشرعي:

من أبرز المنطلقات التي يتبناها المسلم لتحقيق التعامل الأمثل مع البيئة حفاظًا عليها، واستثمارًا لها، وحمايةً لمعطياتها من غير إجحافٍ أو تقصير:

» المنطلق الأول: البيئة أحد مخلوقات الله:

ينطلق المسلم في نظرته للوجود من إيمانه بوحدانية الخالق سبحانه، وكل شيء سواه فهو مخلوق، وبالتالي فلا يخطر في قلبه تأليه غيره سبحانه وتعالى، ومنشأ ضلال كثير من الناس هو تأليه غير الله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، فالبيئة ليست خالقةً، وإنما مخلوقةٌ مربوبةٌ لله تعالى طائعة، ويتعبَّد الإنسان لله في امتثال أمره -في ما يتعلق بالبيئة وغيرها- طلبًا للثواب وتحقيقًا لعبوديته لله؛ فهو الخالق وهو المشرّع سبحانه، وهو أعلم بما يصلح الخلق من الأفعال والتصرفات ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ويظهر الخلل في مخالفة هذا المنطلق حينما ينظر الإنسان إلى البيئة أنها خالقة، فيعبدها من دون الله - كما عبد أقوام الشمس أو القمر- ويحدث الخلل في التعامل مع البيئة بحيث يُترك لها العنان دون ضوابط علمية أو شرعية فيهلك الإنسان، كما يُذكر عن تقديس مَن عَبَدَ الأنهار فيتركها تفيض لتهلك الزرع والضرع دون حدود، ومن يعبد البقر فيحرّم على نفسه ذبحها أو الفئران فلا يقتلها؛ فيختل التوازن البيئي، فضلاً عن الضلال الكبير في عبادة غير الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

يقول الدكتور أحمد شلبي: «حظيت البقرة في الهند بأسمى مكانة، وهي من المعبودات الهندية التي لم تضعف قداستها مع كر السنين وتوالي القرون، ففي الويدا حديث عن قدسيتها والصلاة لها. ولا تزال البقرة حتى الآن تحتفظ بهذه القدسية»[(١)].

وينقل عن المهاتما غاندي قوله: «عندما أرى بقرة لا أعدُّني أرى حيوانًا؛ لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع»[(٢)]، وهذا يدل على انحراف التفسير لظواهر الكون انطلاقًا من الاعتقاد بأن الطبيعة وهي الكون -والبيئة جزء منها- هي الآلهة التي تستحق الخضوع لها والعبادة.

وهذه النظرة لا تقتصر على الوثنيات القديمة، بل وُجدت في بعض الفلسفات الحديثة التي حاولت تفسير الوجود بنسبة الخَلق إلى الطبيعة، أو أنها أوجدت نفسها بنفسها، ومن ذلك تسميتُها بالطبيعة الأم.

» المنطلق الثاني: البيئة مسخرة للإنسان بموجب الاستخلاف في الأرض لعمارتها لا لخرابها:

هذا التسخير يبدو واضحًا في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

«فكلُّ شيءٍ في هذا الوجود منه وإليه، وهو مُنشئُه ومُدبّره، وهو مُسخّره أو مُسلّطُه. وهذا المخلوق الصغير.. الإنسان.. مُزوَّدٌ من الله بالاستعداد لمعرفة طرفٍ من النواميس الكونية، يسخر به قوى في هذا الكون وطاقاتٍ تفوق قوَّته وطاقته بما لا يقاس! وكل ذلك من فضل الله عليه»[(٣)].

فالكون هو بيئة الإنسان ومجال عمله، وهو مُستخلف فيها ومُستخلف عليها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقال جل شأنه: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

يقول سيد قطب رحمه الله: «إنَّ التصوُّر الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله بإذن الله وفق شرط الله، ومن ثمَّ يجعل العمل المنتج المثمر وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها، بل الخامات والموارد الكونية كذلك، هو الوفاءُ بوظيفة

(١) مقارنة الأديان: أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي (٢٨/٤).
(٢) المرجع السابق (٣١/٤).
(٣) في ظلال القرآن (٤٨٤/٨).

الخلافة، ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف طاعة لله ينالُ عليها العبد ثواب الآخرة»[1].

فالاستخلاف مقصدٌ من مقاصد وجود الإنسان للقيام بوظيفة عمارة الأرض استثمارًا ونماء ومحافظة ورعاية.

> **«إنَّ التصوُّر الإسلامي يجعل وظيفة الإنسان في الأرض هي الخلافة عن الله بإذن الله وفق شرط الله، ومن ثمَّ يجعل العمل المنتج المثمر وتوفير الرخاء باستخدام كل مقدرات الأرض وخاماتها ومواردها، هو الوفاءُ بوظيفة الخلافة، ويعتبر قيام الإنسان بهذه الوظيفة وفق منهج الله وشريعته حسب شرط الاستخلاف طاعةً لله ينالُ عليها العبد ثواب الآخرة»**
>
> سيد قطب

ويظهر أثر هذا المنطلق بموجب استخلاف الإنسان في الأرض ألا يفسد فيها ويحافظ عليها؛ وأي تعدٍ أو طغيان أو خلل في التعامل مع البيئة هو مخالفةٌ لوظيفة الاستخلاف.

فالإنسان بمثابة القيّم على ما تحت يده من عناصر البيئة، يرفع عنها الخلل في الاستعمال والاستغلال والتصرف.

فقد جاء النهي عن تعذيب الحيوان، وذبحه لغير هدفٍ مشروعٍ، أو ضررٍ واقع، عن ابن عمر ﷺ قال: (إنَّ رسولَ الله ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غَرَضًا)[2]، وهذا يصب في المحافظة على التوازن البيئي، مع ما يحصل للمسلم من الأجر بترك ما نهى الله عنه.

ومن باب استثمار المسلم للبيئة وإعمار الأرض طاعةً لله وطلبًا للثواب، جاء الحثُّ على الزراعة والغرس[3] وقام الخلفاء والحكّام المسلمون باستصلاح الأراضي المفتوحة في بلاد الشام وسواد العراق وغيرهما.

(١) في ظلال القرآن (٢/٩٣٢).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (١٩٥٨).
(٣) في الحديث: (ما من مسلمٍ يغرسُ غرسًا أو يَزرَعُ زَرعًا فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة) أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٣).

ومن ذلك حثُّ الإسلام على التوسُّط في الإنفاق، فلا إسراف ولا تقتير ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ولا شك أن من مقاصد ذلك المحافظة على الموارد الطبيعية حتى تكفي هذه الموارد أكبر قدر من الناس، سواء كانت هذه الموارد منتجات نباتية أو حيوانية، أو مما يخرج من الأرض من المعادن أو الوقود الأحفوري وغيره.

بل كفّ الإسلام يَدَ السفيه الذي لا يُحسن التعامل بالمال بمفهومه العام[1]، فقد منع الإسلام تسليم الأموال لأهل السفه وفرض عليهم الحَجْر حتى لا يتصرَّف أحدهم بالمال تصرُّفًا يؤدِّي إلى تبديده أو استعماله في الضرر المحض ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

» المنطلق الثالث: الحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله:

إنَّ من لوازم الإيمان بربوبية الله تعالى وأنَّه هو الخالق سبحانه: الإقرار بأنَّ ما شَرَعَه لعباده من الحلال والحرام هو بحكمته سبحانه لمصلحة الإنسان ومنفعته، وما أحلَّه لعباده فنفعُهُ يَرجعُ إليهم، وما حرَّمه عليهم إنما هو لما فيه من ضرر وخبث ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، قال في التحرير والتنوير: «ولما كان الإسلام دين الفطرة ولا اعتداد بالعوائد فيه، ناط حالَ المأكولات بالطيب وحرمتها بالخبث، فالطيب ما لا ضُرَّ فيه ولا وخامة ولا قذارة، والخبيث ما أضر، أو كان وخيم العاقبة، أو كان مستقذَرًا لا يقبله العقلاء»[2].

يتضح أثر هذا المنطلق في الضرر الحاصل في البيئة: نتيجة استباحة ما حرَّم الله وعبث الإنسان واتِّباع هواه في الحظر والإباحة؛ حيث يتم تغليب المصالح الشخصية وإهمال النظر في النفع والضر المحض.

فمن الحكم المتوخاة في تحريم الخمر والخنزير والميتة والدم: ما تؤدي إلى الضرر والشر في حياة الإنسان وبيئته.

نجد أمثلة ذلك في الإغضاء عن انتشار الأمراض التي تفتك بالبشر وبالحيوانات نتيجة ارتكاب المحرمات ومخالفة الفطرة طمعًا في الثروة، فتقنين المثلية الجنسية، وإباحة الإجهاض، ونشر الرذيلة مما يؤدي إلى انتشار الأمراض؛ إضرارٌ بالإنسان، فضلاً عن مخالفة الشريعة، وإطعام الحيوانات المأكولة ما لا يصلح لها –مخالفة للفطرة– أدى إلى أمراض مثل جنون البقر، وكذا طريقة ذبح مأكول اللحم بغير هدي الشريعة الإسلامية.

» المنطلق الرابع: علاقة الإنسان بالبيئة علاقة اعتبار وتذكير:

وردت الآيات في مواضعَ كثيرةٍ في القرآن تأمُرُ بالنظر في الكون للاعتبار والاستدلال على الحقائق العقدية، من خلال التفكّر والتحليل والاستنباط ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: «والنظَرُ: نَظَرُ العَينِ المُفيدُ الاعتِبارَ بدَقائِقِ المَنظُورِ، وتَعْدِيَتُهُ بِحَرفِ (إلى) تَنبيهٌ على إمعانِ النظَرِ لِيَشعُرَ الناظِرُ مِما في المَنظُورِ مِنَ الدقائِقِ»[3].

ومع معرفة عناصر البيئة اليوم علميًا وخصائص هذه العناصر وكيفية توظيفها لصالح البشرية، أصبح النظرُ في الكون مدعاةً للإيمان أكثر مما مضى، وكم من الناس دخل في الإسلام من خلال النظر في الكون وآيات الله المنظورة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

وأصبح لوسائل الشرح والدراسة من الأفلام الوثائقية والبرامج العلمية المتعلقة بالإنسان والبيئة والفضاء ما يُعتبر حجّةً لحمل الناس على الإيمان، ومعرفتهم بالله، وزيادةُ طمأنينةٍ للمؤمنين أن لهذا الكون خالقًا يستحقُّ وحده العبادة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

وقد استخدم بعض علماء الطبيعة عباراتٍ تدلُّ على كراهية الطبيعة أو التحدِّي لها، مثل: قَهَرنا الطبيعة وتغلَّبنا عليها، وألفاظ التشاؤم مثل: التخويف من الكوارث القادمة والموارد الشحيحة وغُول أو غضب الطبيعة.

(١) المال: كل ما يمكن حيازته والانتفاع به، سواء أكان عينًا، أو منفعة، أو عرَضًا.
(٢) التحرير والتنوير (١٣٥/٩).
(٣) المرجع السابق (٣٠٤/٣٠).

مع معرفة عناصر البيئة اليوم علميًا وخصائص هذه العناصر وكيفية توظيفها لصالح البشرية، أصبح النظرُ في الكون مدعاةً للإيمان أكثر مما مضى، وإنما علاقة الاعتبار والتذكير للمسلم بالطبيعة تحمل على محبة هذه المخلوقات، ولا يصحُّ التشاؤم بمظاهرها ولا كراهيتها أو تحدِّيها

وإنما علاقة الاعتبار والتذكير للمسلم بالطبيعة تحمل على محبة هذه المخلوقات؛ يدل على ذلك ما ورد في الحديث عَن طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللهِ ﷺ أَن النبي ﷺ كان إذا رَأى الهِلالَ قال: (اللهم أَهِلَّهُ علينا بالأَمن والإِيمانِ، والسَلامةِ والإِسلامِ، رَبِّي ورَبُّكَ الله)[1].

فالعبارة تدل على المحبَّة للهلال المتولِّد والتفاؤل برؤيته؛ وليس بما تنطق به عبارات بعضُ علماء البيئة، أو بعض الجَهَلة.

ولا يصحُّ التشاؤم بمظاهر الكون خلافًا لما كان في أهل الجاهلية من التشاؤم وربط الأحداث الكونية بالموت والدمار، مثل كسوف الشمس؛ لما كسفت الشمس في عهد النبي ﷺ قالوا: إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم ابن النبي ﷺ، فقال ﷺ: (إن الشمسَ والقمرَ لا يَنكسِفانِ لِمَوتِ أَحدٍ من الناسِ، ولكنهُما آيَتانِ من آياتِ اللهِ، فإذا رَأَيتُمُوهُما فَقُومُوا فَصَلُّوا)[2]، فَالبيئة ليست مسيطرةً على حركة المخلوقات.

وعلاقة التذكير مع البيئة تظهر في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا يتمثل في خضوع الكون كله بمخلوقاته وأحيائه وجماداته، وتوحيدها وتسبيحها له، وهنا يشعر المؤمن حين يتعامل مع هذه المخلوقات بأن عليه أن يعاملها بالرفق والاعتدال، فيستفيد منها بقدر حاجته ولا ينهكها فوق طاقتها، وقد جاء في الأثر أن رسول الله ﷺ مرَّ على قوم وهم وقوفٌ على دوابٍّ لهم ورواحل، فقال لهم: (اركبوها سالمة ودعوها سالمة، ولا تتخذوها كراسي لأحاديثكم في الطرق والأسواق، فرُبَّ مركوبةٍ خيرٌ من راكبها وأكثرُ ذكرًا لله منه)[3].

كما أن بعض عناصر البيئة يعين الإنسان في تنظيم معيشته، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥-١٦]، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فمعرفة مواقيت العبادات مثل أوقات الصلاة بحركة الشمس، ودخول شهر رمضان وأشهر الحج وحَولِ الزكاة بحركة القمر، وتحديد القبلة بالنظر في النجوم.

تظهر آثار علاقة اعتبار الإنسان بالبيئة: في اتخاذ معلومات البيئة لتكون طريقة في الدعوة إلى الله، والتذكير بالعبادات وأوقاتها، والتعليم للناس، واستخدام الوسائل العلمية المناسبة لذلك في إثبات الأهلة وأوقات الصلاة وإعلانها، وصحة عبادة المسلم من صلاة وصيام وحج وغيرها.

وقد كان في أهل الجاهلية مَن جعل النظر في الكون سببًا لإيمانه مثل قس بن ساعدة الإيادي كما ذكر ابن كثير: أنه وقف بعكاظ في الشهر الحرام وهو على جمل أحمر، وهو يخطب الناس وهو يقول: «يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخَبرًا، وإن في الأرض لعِبرًا، مِهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تمور، وبحار لا تغور، وأقسم قس قسمًا حقًا لئن كان في الأمر رضى ليكونن بعده سخط، إن لله لَدينًا هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرَضُوا بالمقام فأقاموا، أم تُرِكوا فناموا؟»[4].

تظهر آثار علاقة اعتبار الإنسان بالبيئة في اتخاذ معلومات البيئة لتكون طريقة في الدعوة إلى الله، والتذكير بالعبادات وأوقاتها، والتعليم للناس، واستخدام الوسائل العلمية المناسبة لذلك في إثبات الأهلة وأوقات الصلاة وإعلانها، وصحة عبادة المسلم من صلاة وصيام وحج وغيرها

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥١).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٤١).
(٣) أخرجه أحمد (١٥٦٢٩).
(٤) البداية والنهاية (٣/٣٠٠-٣٠١).

» المنطلق الخامس: العلاقة الأخلاقية للإنسان بالبيئة:

فمفردات الأخلاق كالصدق والإخلاص والإحسان وكفِّ الأذى ونحوها في حالات السلم والحرب لها أثر في البيئة وحفظها وحمايتها واستثمارها بالطريقة المثلى.

عن شَدَّاد بن أوس قال: ثِنْتَانِ حفظتهما عن رسول الله قال: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحسَانَ على كلِّ شَيءٍ؛ فإذا قَتَلتُم فَأَحسِنُوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبَحتُم فَأَحسِنُوا الذِّبحَ، ولْيُحِدَّ أحدُكُم شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِح ذَبيحَتَهُ)[1].

جاء في وصية أبي بكر الصديق ﷺ لقائد جيشه: «وإني موصيك بعشر: لا تقتلَنَّ امرأةً، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هَرِمًا، ولا تَقطعَنَّ شجرًا مثمرًا، ولا تخرِّبَنَّ عامرًا، ولا تعقِرَنَّ شاةً ولا بعيرًا إلا لمأكلة، ولا تحرقنَّ نخلاً ولا تُغرِقَنَّه، ولا تَغْلُل، ولا تجبُن»[2].

ويبدو أثر هذا المنطلق في تصرف الجهات والمؤسسات التي تقوم على تضليل الناس بمعلومات خاطئة عن البيئة، وتعمل على تقديم الكسب المادي على حساب المبادئ الأخلاقية؛ ومن ذلك ما أعقب الثورة الصناعية من فوضى أدَّت لتلوُّث البيئة وزيادة التصحُّر وتراجع الغابات وتلوث مياه الأنهار، وكان الكثير من مراكز الدراسات يقدم دراسات مضللة مدعومة من كبار المستثمرين تخفي الأضرار المروعة للمصانع ومنتجاتها على البيئة، فضلاً عن سلوك قادة الحروب التي لا تراعي إنسانيةً ولا أخلاقًا وتساهم في دمار البشرية والإفساد في الأرض، ضاربين بشعارات الإصلاح البيئي والمحافظة على الطبيعة عرض الحائط.

إنَّ المسؤولية الأخلاقية للدول لا تقل أهمية عن مسؤولية الأفراد -في العلاقة مع البيئة- بل تزيد عليها في ظل ما نراه اليوم من حروب تستخدم فيها الأسلحة بأنواعها التقليدية والكيماوية والجرثومية، وتنتهك فيها قوانين البشر، ولا تراعى فيها تعاليم الأديان، ولا يتبقى لحرمة فيها ذمام، فتخلّف وراءها دمارًا مستمرًا لعقود، وآثارًا سلبية على الإنسان والحيوان والنبات والتربة وعناصر البيئة المختلفة.

وإذا لم تتداعَ الأمم لإصلاح هذا الفساد على منهج دين الله تعالى فإن الفساد الذي ظهر في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس سيكون وبالاً على البشرية كلها.

إنَّ المسؤولية الأخلاقية للدول لا تقل أهمية عن مسؤولية الأفراد -في العلاقة مع البيئة- بل تزيد عليها في ظل ما نراه اليوم من حروب تستخدم فيها الأسلحة بأنواعها التقليدية والكيماوية والجرثومية، وتنتهك فيها قوانين البشر، ولا تراعى فيها تعاليم الأديان، ولا يتبقى لحرمة فيها ذمام، فتخلّف وراءها دمارًا مستمرًا لعقود، وآثارًا سلبية على الإنسان والحيوان والنبات والتربة وعناصر البيئة المختلفة

خلاصة القول:

بناءً على هذه المنطلقات يمكن أن نفهم علاقة البيئة بخصائص التشريع الإسلامي من الربانية والوسطية والشمولية وصلاحيته لكل زمان ومكان، وموافقته للفطرة، وأنَّ سيادة الشريعة -التي لا شطط فيها ولا خلل- هي التي تعيد للبيئة استقرارَها ونماءها وتوازنها.

ونفهم من خلال هذه المنطلقات التشريعات الفقهية والتي لها علاقة بالبيئة وحمايتها، مثل: أحكام الطهارة والمياه والنهي عن ملابسة النجاسات، ونظافة المساجد والأفنية وغيرها، والمحرمات من الأطعمة والأشربة، واستصلاح الأراضي، واستعمال الطرق وحقوق الارتفاق، والمبادئ الأخلاقية في الحرب، وغيرها من التشريعات التي تؤول بالمجتمع والفرد إلى المحافظة على البيئة والتعامل معها بضوابط واضحة.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥).
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٦٢٧).

الصهيونية ركيزة الاستعمار

د. علي مدني رضوان (*)

تُعد «إسرائيل» خنجرًا مسمومًا في خاصرة الأمة، بلغ فسادها وطغيانها كل مبلغ، وتطاير شررها إلى كل بيت من بيوت المسلمين، وفي الوقت الذي تكاد تجمع الشعوب على بغضها، تكاد تجمع القوى الكبرى في الشرق والغرب على دعمها وتأييدها، فكيف نشأت؟ وما علاقتها بالدول الغربية؟ وهل من سبيل إلى الانتصار عليها؟ وكيف؟

مقدمة:

فلسطين أرض النبوات ومهد الرسالات، ومهاجَر الخليل ومهد المسيح، ومنتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وأرض الرباط والثبات والمحشر والمنشر، وهي أرض مباركة مقدسة بارك الله فيها للعالمين، وهذه البركة تحمل في معناها اللغوي والشرعي الثبات والديمومة والنمو الإيجابي وإدرار الخير من حولها «جعلنا الخير فيها ثابتًا دائمًا لأهلها»[1]، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، قال البقاعي: «أي المطهرة المباركة التي حكم الله أن يطهرها بأنبيائه ورسله من نجس الشرك ووَضَرِ المعاصي والإفك»[2].

ومن فقه الأولويات اليوم: أن تعرف الأمة -على نحو خاص- مَن هو عدوها الحقيقي لتأخذ حذرها، ولتضعه نصب عينيها فتتمكن من إعداد العدة للتغلُّب عليه أو مقاومته.

وإذا كان الشيطان الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، قد تعهد بإغواء

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة طنطا.

(١) جامع البيان، للطبري (٤٠٤/١٠).

(٢) نظم الدرر، للبقاعي (٧٤/٦).

بني آدم وإضلالهم، وأجلب عليهم بخليه ورَجِله وأرسل أتباعه في الآفاق حتى يشغل الناس عن طاعة الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، فكذلك استطار شر اليهود في زماننا هذا حتى بلغ شرهم مبلغًا عظيمًا، وعاثوا في الأرض فسادًا تارةً بالقتل والتدمير، وتارة أخرى بنشر الرذيلة والانحلال، ولا غرابة في التشابه، فهم الذي قال الله فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

فكان لا بد من الكتابة في هذا الموضوع لأمرين:

- الأول: أنَّ اليهود الصهاينة قد أوردوا الأمة العربية والإسلامية اليوم موارد الهلاك وتسببوا لها بالدمار.
- الثاني: اليأس العام من حل هذه المعضلة التي دخل شررها وتطاير بلاؤها إلى كل بيت من بيوت المسلمين. والقرآن الكريم يتحدث عنهم بصيغة الفعل المضارع المستمر ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: ٦٤].

ولا يوقف إفسادهم، ولا يزول عن الأمة خطرهم إلا عندما تصحو الأمة التي طال ليلها، وتتجرع «الدواء المر» الذي لا يتم لها الشفاء بغيره.

أولاً: الصهيونية الاستعمارية وقيام دولة إسرائيل:

لم تتحدد الملامح السياسية للحركة الصهيونية أو تأخذ شكلها وأبعادها التنظيمية إلا على يد (تيودور هرتزل) وهو رجلٌ يعتنق أفكارًا تُخالف جميع الأديان التي على وجه الأرض[١]، لكنه على الرغم من ذلك قام بإقناع الشعوب الغربية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ليس لمجرد إيوائهم من الشتات، بل إن ذلك لصالح العالم كله، الذي سيثرى بثراء اليهود وينعم بالحرية أيضًا، فعقد مؤتمره الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧م وقرر في مؤتمره أنه في خلال عشرين عامًا قادمة تكون بريطانيا قد استعدت فعليًا لقرارها بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين، وتحققت خطته فعلاً في شهر أغسطس ١٩١٧م وهو المعروف (بوعد بلفور) وزير خارجية بريطانيا آنذاك، بمنح اليهود وطنًا قوميًا في فلسطين[٢].

يرى المسيري «أن الصهيونية ما هي إلا فكرة استعمارية، والدولة الصهيونية هي امتداد للإمبريالية التي تقوم على الربح الاقتصادي وتحقيق النفوذ السياسي وصرف الانتباه عن القلاقل الداخلية في الوطن المستعمر عن طريق شن الحروب»[٣]، والاستعمار الغربي هو مَن صنع إسرائيل لتكون خنجرًا في خاصرة الأمة العربية، وهذا الاستعمار -كما يقول د. جمال حمدان- «هو مهندس إسرائيل في المحل الأول وطبيبها في المحل الثاني... وقد تحولت الصهيونية العالمية إلى عميل خاص ووكيل دائم للاستعمار العالمي ملتحم به أشد الالتحام مصيريًا وبقائيًا»[٤].

وأما غاية المشروع الصهيوني فتتمثل في السيطرة على الأراضي العربية من النيل إلى الفرات ليمثل ذلك محورًا مهمًا للدول الغربية المستعمِرة، «وقد وُجدت في خزانة روتشيلد خارطة كتب عليها «مملكة إسرائيل». وتضم هذه الخريطة فلسطين والأردن وسوريا ولبنان ووسط العراق وجنوبه وصحراء سيناء ودلتا النيل والمدينة المنورة والأراضي الواقعة في شمالها بين بني قريظة وبني النضير وخيبر»[٥].

وسرّ نفاذ الصهيونية إلى أرض فلسطين يرجع إلى «قوة الصهيونية العالمية، وهذه الأخيرة لا تعمل وحدها في الميدان، بل تعمل معها قوَّتان أخريان أكبر منها، وهما قوة المصالح الاستعمارية، والتعصب الشديد على الإسلام»[٦]، «وإسرائيل في جوهرها ما هي إلا شركةٌ سريةٌ مساهمةٌ بين الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية، وكانت بهذا صورةً مُقنَّعةً من الاستعمار الجماعي، وما هي إلا قاعدةٌ عسكريةٌ كاملةٌ أماميةٌ للمعسكر الغربي، لا تتجزأ عن نظامه الاستراتيجي العدواني الذي أقامه حول العالم»[٧].

(١) تيودور هرتزل كان حسب كثير من المؤرخين ملحدًا، أو على أقل تقدير لا دينيًا، ينظر مقالة: إسرائيل بين اليهودية الدينية والصهيونية السياسية! لمحمد جميح، على موقع القدس العربي، والتفريغ النصي لمقابلة أجراها الصحفي أحمد منصور مع المفكر الفرنسي روجيه جارودي على قناة الجزيرة، بعنوان: إسرائيل أنشأها الملحدون، والتفريغ موجود على موقع أحمد منصور.

(٢) اليهود واليهودية، للدكتور عبد الجليل شلبي (بتصرف يسير) ص (١٩٢-١٩٣).

(٣) ينظر: الأيدلوجية الصهيونية، للدكتور المسيري (١٢١/١).

(٤) فلسطين أولاً، للدكتور جمال حمدان، ص (٥٨).

(٥) الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، لقسطنطين خمار، ص (٢٧).

(٦) ينظر: الصهيونية العالمية، لعباس العقاد، ص (٢٧).

(٧) فلسطين أولاً، ص (٦١).

وفكرة إمكانية قيام دولة إسرائيل كما صاغها لهم هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) تقوم على إبادة الآخر والإحلال محله، يقول: «إذا أردنا اليوم أن نقيم دولة فلن نقيمها بنفس الطريقة التي كانت هي الإمكانية الوحيدة منذ ألف سنة، إنه من الغباء الرجوع إلى المراحل الحضارية السابقة لما يريد كثير من الصهاينة أن يفعلوا؛ لنفرض مثالاً على ذلك أنه كان علينا أن نخلي أرضًا من الحيوانات المفترسة فلن نقوم بالمهمة بنفس الطريقة التي اتبعها الأوروبيون في القرن الخامس؛ فلا يصح أن نأخذ رمحًا وحربة ونخرج أفرادًا وراء الدببة، بل ينبغي أن ننظم مجموعةً قويةً من الصيادين فتسوق الحيواناتِ لتجمعهم في مكان واحد ثم تقذف في وسطهم قنبلة مدمرة»[١] ولك أن تلاحظ ترجمة هذا الإسقاط حينما يتفوَّه قادة الحرب في الكيان المحتل فيصفون شعب فلسطين بالحيوانات. والمحتل لا يُواجه في القتال رجلاً لرجل، بل يرمي أطنان القنابل على رؤوس المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ من بعيد.

> **«إسرائيل في جوهرها ما هي إلا شركةٌ سرية مساهمة بين الاستعمار العالمي والصهيونية العالمية، وكانت بهذا صورةً مُقنَّعةً من الاستعمار الجماعي، وما هي إلا قاعدةٌ عسكريةٌ كاملةٌ أماميةٌ للمعسكر الغربي، لا تتجزأ عن نظامه الاستراتيجي العدواني الذي أقامه حول العالم»**
>
> **د. جمال حمدان**

ثانيًا: طبيعة الشعب اليهودي في ميزان الإسلام:

تؤكد النصوص والدراسات أنَّ الشعب اليهودي دون غيره من شعوب الأرض يتفرَّد بطبيعةٍ خاصة، وهذه الطبيعة جعلته شعبًا بغيضًا إلى الناس ممقوتًا مكروهًا -رضي أو لم يرض- حيثما حلَّ أو ارتحل، وذلك من كسب أيديهم وظُلمهم وسعيهم الدؤوب للإفساد في الأرض، وعداوتُهم لغيرهم ظاهرةٌ بينة، وهي للمؤمنين أشدّ كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، يقول السعدي: «فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام والمسلمين، وأكثرُهم سعيًا في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بُغضهم لهم بغيًا وحسدًا وعنادًا وكفرًا»[٢]، واليهود «أورثهم تاريخهم الخاص نفسيةً غريبةً لم توجد في أمة غيرهم، وانفردوا بخصائص خُلُقية كانت لهم شعارًا على تعاقُب الأعصار والأجيال؛ منها الخنوع عند الضعف، والبطش وسوء السيرة عند الغلبة، والختل والنفاق في عامة الأحوال، والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل، والصد عن سبيل الله»[٣].

إنَّ القسوة من طبيعة القوم، بل تكاد تكون هذه الصفة مع صفة المراوغة والاحتيال هما أبرز صفات اليهود في القديم والحديث، بحيث إنَّها صارت تمثِّل حجر الزاوية في حياة اليهود بوجهٍ عام، كما لو كانت صفةً لازمةً وهيئة راسخة لا تنفك عنهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، قال أبو حيان الأندلسي: «وهذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة؛ إذ الحجر لا يتأثَّر بموعظةٍ، ويعني أنَّ قلوبهم صلبة لا تخلخلها الخوارق كما أن الحجر خُلق صلبًا»[٤]، ولابن عاشور لفتةٌ جميلةٌ في هذا المعنى، يقول: «إنَّ هذه القلوب قساوتها عند التمحيص أشدُّ من قساوةِ الحجارة؛ لأنَّ الحجارة قد يعتريها التحوُّل عن صلابتها وشدتها بالتفرق والتشقق وهذه القلوب لم تُجْدِ فيها محاولة»[٥].

واليهود لا يحترمون ميثاقًا ولا يراعون ذمةً أو يُحسنون جوارًا، طبيعتهم المراوغة والمخاتلة والمخادعة ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

ومن عَجَبٍ أنَّا ما زلنا نُخدع فيهم رغم أنَّ المؤمنَ لا يُلدغُ من جُحرٍ مرَّتين، فهل بَهَتَ سمتُ الإيمان عندنا حتى نتجرَّع منهم كلَّ يوم مصائبهم وشرورَهم ونلدغ آلاف المرات من جحر واحد نعرف أنه ممتلئ بالحيات والآفات؟![٦].

(١) ينظر: الدولة اليهودية، لهرتزل، ص (١٧).
(٢) تفسير السعدي، ص (٢٤١).
(٣) ينظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص (٣٨) وما بعدها.
(٤) البحر المحيط (٤٢٨/١).
(٥) التحرير والتنوير (٥٦٤/١).
(٦) هذا عند إصرارهم على ضلالهم وباطلهم، أما من أسلم منهم وحسن إسلامه، وخالطت بشاشة الإيمان قلبه فيصبح خلقًا آخر، ولكن هؤلاء قليل جدًا في اليهود عبر التاريخ وهذا شاهد آخر على سوئهم في الجملة.

من أهم واجبات الأمة اليوم

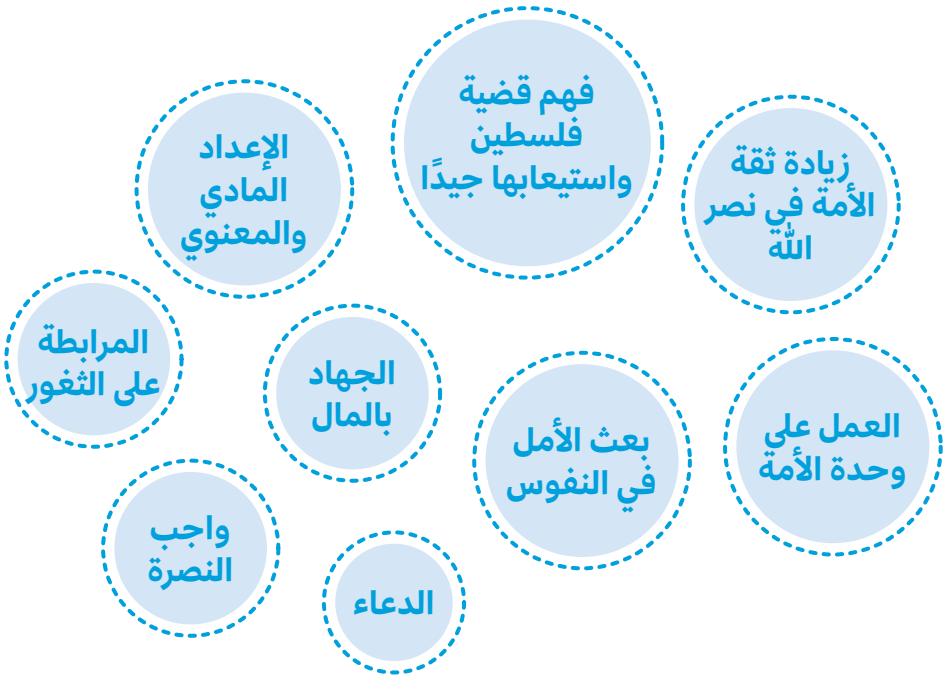

إنَّ القسوة مِن طبيعة اليهود، بل تكاد تكون هذه الصفة مع صفة المراوغة والاحتيال هما أبرز صفات اليهود في القديم والحديث، بحيث إنَّها صارت تمثِّل حجر الزاوية في حياة اليهود بوجهٍ عام، كما لو كانت صفةً لازمةً وهيئة راسخة لا تنفك عنهم

ثالثًا: واجب الأمة الإسلامية اليوم:

إنَّ طبائع النفوس وخواصَّ الأرواح البشرية قلّما تتغيَّر، وعلى الرغم من وثيقة المدينة النبوية التي عقدها النبي ﷺ منذ أن وطئت أقدامه أرض يثرب وإقرارهم عليها، إلا أنهم لم يحتملوا الوفاء بها، وإنما نقضوها جملةً وتفصيلاً؛ فطبعُ الإنسان غلّاب عليه، ومن نافذة التاريخ يبدو لنا بجلاء أن هؤلاء الصهاينة لا يُسكتهم إلا صوتُ القُوة وجلبة الخيل ولمعان السيوف وصيحة الجهاد تدوّي في ربوع الديار، وعندها سيقرؤون التاريخ بوضوح ويتتبعون السوابق والآثار ويعلمون أن ما جرى على أحد المثَلين يجرى على الآخر، وأن الأشباه بنظائرها، وأن محمدًا ﷺ «ما مات وما خلف بنات»[1]، وإنما خلَّف أسودًا مغاوير يحملون أكفانهم على أيديهم قد بايعوا بيعة لا ينكثون فيها أبدًا.

وقد يظنُّ ظانٌّ أنَّ المسلمين اليوم لن تقوم لهم رايةٌ أبدًا، لتخلُّفهم عن ركب المدنية والتطوُّر، وهذا فهم قاصر، ونظرةٌ تشاؤمية مَقيتة؛ فمنذ متى كانت القوة العددية شرطًا في انتصار المسلمين في معركة من المعارك أو غزوة من الغزوات؟

والصحيح أنَّ الأمة اليوم في حاجة إلى انبعاثٍ جديد وإلى روح قتالية تؤمن بالشهادة نصيبًا واصطفاءً، وإلى روحٍ قادرةٍ قاهرةٍ تكره الخنا وترفض الضعف بكل صوره وأشكاله، ليبقى الواجب المقدس والأكبر على الأمة المسلمة اليوم، والذي تقرِّره النصوص الشرعية وتفرضه الضرورة الحياتية هو الجهاد في سبيل الله لحماية الأنفس وصيانة الأعراض والمقدسات ودفع الصائل المعتدي وحماية بيضة الإسلام، وبين يدي هذا الواجب لا بد من معينات أُخَر تدفع بالأمة في ليل

(١) كان اليهود يردِّدون عبارة "محمد مات وخلف بنات" لدى اختلالهم فلسطين، أخزاهم الله.

الكدح وظلام المادة وانتفاشة الباطل واستعلائه، فتكون لها حداءً وتسلية تقطع بها مراحل الطريق ومفازته.

إنَّ الأمة اليوم في حاجة إلى انبعاثٍ جديد وإلى روح قتالية تؤمن بالشهادة نصيبًا واصطفاءً، وإلى روح قادرةٍ قاهرةٍ تكره الخنا وترفض الضَّعف بكل صوره وأشكاله، ليبقى الواجب المقدس والأكبر على الأمة المسلمة اليوم هو الجهاد في سبيل الله

ومن أهم واجبات الأمة اليوم:

١. زيادة ثقة الأمة في نصر الله:

فقد وعد الله الأمة المسلمة المرابطة بالنصر والتأييد والمنعة إن كرّست نفسها لحماية دينه وإعلاء كلمته، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وليس من شكٍّ في أنَّ الظنَّ الحسنَ بالله تعالى من أتمِّ العُدَّة وأعظم المدد، وهذه الثقة كانت وما زالت عونًا لأنبياء الله وأوليائه الصالحين، ترافقهم وتدفعهم للعمل وتنفض عنهم اليأس والقنوط، وفي الحديث: (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)[١]، وها هم اليوم المجاهدون في فلسطين المحتلة ينزلون بأسهم بالعدو الغاصب.

٢. فهم قضية فلسطين واستيعابها جيدًا:

لتشكل أرضيةً لوعي جمعي فاعل، فالحقوق المغتصبة لا تسقط بالتقادم الزمني ولا بسلطة الأمر الواقع، وترسيخ ذلك في الأذهان، والعمل على نشر الوعي في عدد من المحاور والدوائر التي حولنا (الأسرة والأقارب والأصدقاء، وفي وسائل المواصلات ومواطن تجمع الناس ومناسباتهم، واستثمار المنابر ووسائل الإعلام بأنواعها والصالونات والمنتديات الثقافية وغيرها).

٣. الإعداد المادي والمعنوي:

إعداد العدة والعتاد اللازمَين لقهر العدو وإحداث النكاية به، والأخذ بثأر المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، مع الأخذ في الحسبان بما يناسب طبيعة المعركة من الأدوات والخطط والاستراتيجيات، وقبل ذلك كله الإعداد الإيماني والعقدي.

واليهود -كما نعرف من تاريخهم الأسود- لا يصلح معهم إلا القوة بمفهومها المتكامل، بما في ذلك: (قوة العقيدة، قوة الأخوة «الحاضنة الشعبية»، قوة الساعد والسلاح).

٤. المرابطة على الثغور:

والرباط ملازمة المكان الذي بين المسلمين والكفار لحراسة المسلمين منهم، ويشمل ذلك حمل النفس على العزائم، وقد علق سبحانه الفلاح على الصبر والمصابرة والمرابطة، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، والشام أرض الرباط إلى يوم القيامة كما دلَّت النصوص والآثار، ومن ذلك أنه روي عن النبي ﷺ: (وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان)[٢]، وأجر المرابطة عظيم وثوابها مستمر لا ينقطع، كما جاء في الحديث: (كلُّ ميتٍ يُختَمُ على عملِهِ إلا الذي مات مرابطًا في سبيلِ اللهِ؛ فإنَّهُ يُنْمَى له عملُهُ إلى يومِ القيامةِ ويأمنُ من فتنةِ القبرِ)، ورواية أبي داوود (يَنمو لَهُ عملُهُ إلى يومِ القيامةِ)[٣].

٥. العمل على وحدة الأمة العربية والإسلامية:

واتحادها على كلمة سواء (في المعركة السياسية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية)، والسعي نحو هذا الهدف بكل السبل والطرق المشروعة والممكنة، بالتربية والتوعية والتعليم والإرشاد والتفاهم والتنازل وتقديم التضحيات، وعند منة الله بتحقق ذلك ستجد الأمة أن ما بيدها من أوراق القوة والضغط أكثر وأخطر مما تتصور، كالثروات والإمكانات، والسواعد المستعدة، وإمكانية التحكم في المعابر التجارية والاستراتيجية، ووقتها لن

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زياداته على المسند (٢٢٣٢٠)، وأصله في صحيح مسلم (١٠٣٧) بلفظ: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس).

(٢) أخرجه الطبراني (١١١٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي (١٦٢١) وأبو داود (٢٥٠٠).

يبقى للاتفاقيات المقيدة أي قيمة تذكر. كل ذلك أو بعضه يغير المعادلة بين عشية وضحاها للتخفيف عن أهلنا في الأراضي المحتلة، وعندما تجتمع الأمة تحت مظلة العقيدة تقوى شوكتها ويعلو بنيانها، وتبقى عزيزة مرهوبة الجانب، كما حدث مع النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة واجتمع بالمهاجرين والأنصار قال شاس بن قيس اليهودي: «قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار»[1].

ينبغي فهم قضية فلسطين واستيعابها جيدًا، فالحقوق المغتصبة لا تسقط بالتقادم الزمني ولا بسلطة الأمر الواقع، ولا بدَّ من ترسيخ ذلك في الأذهان، والعمل على نشر الوعي في عدد من المحاور والدوائر التي حولنا

٦. بعث الأمل في النفوس:

لأنَّ رفع الروح المعنوية يُعيد للأمة حيويَّتها وقُدرتها على مواصلة الكفاح، ويُشعرها أنها ما تزال فتية وحية وعصيّة على الانكسار، بما تملك من رصيد تراثي وعقائدي ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وها هي غزة اليوم تُسطِّر ملحمةً جديدةً من الصمود والعِزَّة والفَخَار وبعث الأمل في عروق أجيالٍ متعاقبة تبحث لها عن بصيص أمل ليوجه بوصلتها، فقدَّمت نموذجًا فذًّا في الإرادة والصمود والإقدام.

٧. الجهاد بالمال:

فهؤلاء المجاهدون يشملون جل مصارف الزكاة (الفقير والمسكين والغارم والمجاهد في سبيل الله وابن السبيل.. للذين خرجوا من بيوتهم وانقطعت بهم السبل) وفي الحديث (أفضلُ الصدقاتِ ظِلُّ فُسْطاطٍ في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومِنْحَةُ خادمٍ في سبيلِ اللهِ، أو طَرُوقَةُ فَحْلٍ في سبيلِ اللهِ)[2]، وقد قدم الله الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس في معظم المواضع في القرآن الكريم، وذلك لأنَّ الجهاد دائمًا وأبدًا يبقى بحاجة للمال، والمجاهد بماله قد يبلغ لما ينفق منازل المجاهدين، وفي الحديث الصحيح عن زيد بن خالد الجهني ﷺ مرفوعًا: (مَن جَهَّز غازيًا في سبيلِ الله فقَد غزا، وَمَن خَلَف غازيًا في أهلِه بخَير فقَد غزا)[3].

٨. واجب النصرة:

قال تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وترك المجاهدين في الميدان وحدهم فيه ضرر كبير عليهم قد لا يمكن تداركه «وقد يجر إلى مفسدة» كما قال البقاعي، ولذلك جاء التحذير في الآية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣] «أي إن لم تفعلوا مثله من تولّي المؤمنين ومعاداة الكافرين كما يفعل الكفار بالتعاضد والتعاون بالنفس والمال،... فاللائق بكم أن تكونوا أعظم منهم في ذلك،... ولو ترك المؤمنون التناصر بينهم انخلَّ النظام فاختل كل من النقض والإبرام فتباعدت القلوب وتزايدت الكروب»[4].

وفي الحديث الصحيح (ما من امرئٍ يخذل امرءًا مسلمًا في موطنٍ يُنتَقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمتِه، إلا خذله اللهُ تعالى في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتَه، وما من أحدٍ ينصر مسلمًا في موطنٍ يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمتِه، إلا نصره اللهُ في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرتَه)[5].

ومن النصرة أن يقاطع المسلمون كلَّ ما يعود على هؤلاء الصهاينة من منفعةٍ ماديةٍ أو معنوية، وهو أمرٌ ذو بال لما يحدثه من النكاية في العدو، والمقاطعة تدخل في مفهوم الجهاد بمعناه العام، فالله تعالى أوجب على المؤمنين مجاهدة الكفار والمنافقين، سواء أكان جهادًا عينيًا أو كفائيًا، ومن المعلوم أن في جهادهم دفعًا لشرِّهم بالنكاية البالغة فيهم، فإلحاق الضرر بهم عن طريق المقاطعة الاقتصادية مشروع من باب أولى.

ومما يدل على مشروعية المقاطعة ما فعله ثمامة بن أثال ﷺ بعدما أسلم، حيث قال لكفار

(١) سيرة ابن هشام (١٤٦/٢).
(٢) أخرجه الترمذي (١٦٢٧).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٨٤٣) ومسلم (١٨٩٥).
(٤) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣٤٥/٨) وما بعدها.
(٥) أخرجه أبو داود (٤٨٨٤) وأحمد (١٦٣٦٨).

قريش: (والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ)[١] ووجه الدلالة من الحديث هنا: أن ما فعله سيدنا ثمامة ﷺ وقيامه بتهديد الكفار بأن يقطع عنهم الحنطة هو صورة من صور المقاطعة الاقتصادية، ولو كان هذا الفعل غير مشروع لما وافقه عليه ﷺ.

ومن أوجب الواجبات لإغاثة الشعب الفلسطيني المحاصر في غزة: فتح المعابر لإدخال المساعدات الإنسانية الغذائية والدوائية، وهذا يتطلَّب صدقًا وشجاعةً من الدول المجاورة، ولن تستطيع دولة الاحتلال أن تفعل شيئًا معهم، فشعوبهم معهم في هذا الأمر، والأمة من خلفهم.

٩. الدُّعاء:

الدعاءُ للمؤمنين بالتأييد والنصرة، والدعاء على الظالمين المعتدين بالهلاك والثبور فيه رحمة للأمة، ومخرج من الأزمة، وشفاء للصدور، وقد فعله رسول الله ﷺ بعد أن غدر أهل نجد بسبعين من أصحابه الكرام ﷺ، عن أنس ﷺ قال: «بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجة، يُقال لهم القراء، فعرض لهم حيان من بني سليم: رِعل وذَكوان فقتلوهم، فدعا النبي ﷺ شهرًا في صلاة الغداة، وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت»[٢].

قال النووي في شرح مسلم: «الصحيح المشهور أنه إذا نزلت نازلة كعدو وقحط ووباء وعطش وضرر ظاهر في المسلمين ونحو ذلك، قنتوا في جميع الصلوات المكتوبة»[٣].

> **مِن النُصرة للقضية الفلسطينية: مقاطعة كل ما يعود على الصهاينة من منفعةٍ ماديةٍ أو معنوية، والمقاطعة تدخل في مفهوم الجهاد بمعناه العام، ومن المعلوم أن في جهادهم دفعًا لشرِّهم بالنكاية البالغة فيهم، فإلحاق الضرر بهم عن طريق المقاطعة الاقتصادية مشروع من باب أولى**

وأهل فلسطين اليوم في حاجة ملحة إلى الدعاء والإخلاص فيه لرفع ما هم فيه من الضر والبلاء.

كلمة أخيرة:

إنَّ اليسر قادم وإن الفرج آت وإن المستقبل للإسلام وحده، فكلُّ حضارات الأرض كادت شمسُها أن تغيب، أما الإسلام وحضارته فقد اشتدَّ ساقه ونمت فروعه في كل المعمورة، وهو وحده القادر على بعث الأمة من جديد. يقول أرنولد توينبي: «إذا كان للسوابق التاريخية أي معنى عندنا وهي إشعاعات الضوء الوحيدة التي يمكن أن يلقيها على الظلمات التي تكتنف مستقبلنا، فإنَّها تُنذر بأنَّ الإسلام قادرٌ على التأثير في المستقبل بأساليبَ عِدَّة تسمو على فهمنا وإدراكنا»[٤].

ولعلنا نُدرك أنَّ القرن القادم بما يحمل من تحدِّيات لا يحترم أصحاب الإرادات الضعيفة والعزائم الخائرة بقدر ما يحترم ذوي البأس والنفوذ والعلم والتقدم وبناء الإنسان من جديد. والأمة الإسلامية -والمقاومة في طليعتها- معنية بوجه خاص برد الأمور إلى نصابها، فهي شاهدة على غيرها من الأمم، وهي أمة النذارة والنفير والخيل والكر والفر، وإن عجلة الحياة ماضية ومسيرة التاريخ لا تتوقف، وفي صفحات التاريخ يُدوَّن كسب الأمة واكتسابها (لها أو عليها) يقول د. جمال حمدان: «إنَّ المستقبلَ القريبَ جديرٌ بأن يثبت أنَّ إسرائيل لن تكون إلا مجرَّد مرحلةٍ في رحلةِ الشَّتات التاريخية، مجرَّد جملةٍ اعتراضية في تاريخ فلسطين، وقريبٌ هو لا شك الخروجُ الجديدُ؛ لأنَّها نبتٌ شيطاني اصطناعي يعيش تحت صوبة زجاجية يتنفس في مناخ مفتعل تحت خيمة أوكسجين دائمة ويحيا على عمليات نقل الدم التي لا تنقطع»[٥]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٨٨).
(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٧٦/٥).
(٤) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم، ليوسف العاصي (٢٨١/٤).
(٥) ينظر: اليهود أنثروبولوجيا، للدكتور جمال حمدان، ص (٥٦)، وص (٨٤).

قراءة في كتاب: «حتى لا يُستباح الحَرَم» للدكتور: عبد العزيز مصطفى كامل

د. فاطمة علي عبُّود (*)

لم يعد المشروع الإيراني سرًّا كما كان قبل عقود، بل تحوَّل من أقاويل وإشاعات إلى واقع تشهده الأمة الإسلامية، فهو مشروع يهدف إلى التوسُّع المنهج بوسائل سياسية وعسكرية، نحو وجهة محددة يسير نحوها، ويجند في سبيل ذلك كلَّ ما يمكن لخدمة هذه الوجهة والغاية، فما هي غايته؟ وإلى أين يسعى للوصول؟ حاول كتاب «حتى لا يستباح الحرم» تقديم قراءة في أبعاد هذا المشروع، وهذه المقالة قراءة في الكتاب.

الكاتب في سطور:

عبد العزيز مصطفى كامل كاتبٌ وداعيةٌ مصريٌّ، حصل على شهادة الماجستير في الشريعة من جامعة الإمام في المملكة العربية السعودية، ثمَّ تابع دراسة الدكتوراه في جامعة الأزهر، كان عضوًا في هيئة تحرير مجلة البيان الإسلامية، إلى جانب عمله محاضرًا في جامعة الملك سعود، له العديد من المؤلفات والمقالات المنشورة في المجلات الإسلامية.

مدخل إلى الكتاب:

تتعرَّض البلدان الإسلامية لمكائد أعداء الإسلام منذ عصورٍ قديمةٍ، إذ لم تسلم هذه الأرض من غزوات الصليبيين المتتابعة، والتي لم تتوقَّف حتَّى يومنا هذا، متَّخذةً أشكالاً مختلفةً، فقد أطلقوا على تلك الأرض اسم (منطقة الشرق الأوسط) وبدؤوا يخطِّطون لتدميرها والاستيلاء عليها. ثمَّ وقف وراءهم اليهود الذين ادَّعوا أنَّ هذه الأرض

(*) دكتوراه في اللُّغة العربيَّة وآدابها، عضوة في الجمعيَّة السُّورية للعلوم الاجتماعيَّة.

(أرض ميعادهم) وحرَّفوا توراتهم ليؤكِّدوا حقَّهم في استلاب الأرض. أمَّا أصحاب المشروع الإيراني الفارسي فهم يرون أنَّ هذه الأرض هي مَخْرَج منتظَرِهم الذي سينشر منها مذهبهم في التَّشيع إلى العالم. واليوم أرض الشام تتنازعها راياتٌ مختلفةٌ، والعراق وقع تحت الهيمنة الشيعية العربية، وكذلك اليمن اكتوى بنار الطائفية، أمَّا الحَرَمان الشريفان وما حولهما فتتربَّص بهما شيعة الفرس والعرب، ضمن مشروعٍ صفويٍّ جديدٍ. لذلك تزحف إيران من الأطراف؛ أي من بلدان العراق والشام واليمن، إلى القلب أي جزيرة العرب، وصولاً إلى الحرمين الشريفين، غاية الغاية؛ لتتمكَّن من تنفيذ خطَّتها.

يتألَّف الكتاب من أربعة فصولٍ، سنستعرضها بإيجاز، ونبدأ بـ:

الفصل الأول: الخلفيات الخرافيَّة للمشروع الإيراني:

فرقة الشيعة الإمامية (متى وكيف)؟

نشأت فرقة الشيعة في العراق على يد عبد الله بن سبأ المنافق الذي ادَّعى الإسلام في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وانقسمت الشيعة إلى فرق يجمعها الغلوّ في عليّ ﷺ، أشهرهم (الشيعة الاثنا عشرية) الذين قالوا بأولوية الخلافة لعليٍّ ﷺ وأولوية ذرّيته من بعده بولاية أمر المسلمين حتى نهاية الزمان، وكفّروا مَن لا يقول بقولهم، وهذه الفرقة هي الأكثر عددًا وانتشارًا في عصرنا، وسمُّوا بذلك لاعتقادهم بعقد الإمامة في اثني عشر إمامًا آخرهم محمد بن الحسن العسكري مهديهم المنتظر. ومن فِرَقهم (الزيدية) في اليمن، و(النصيرية العلوية) في سوريا.

المنظومة الاعتقادية الاثنا عشريَّة:

ويجملها الكاتب في عدَّة نقاط، وهي:

١. الإمامة لعليٍّ ﷺ ولأحد عشر إمامًا من بعده، وعصمتهم كعصمة الأنبياء.

٢. تقديس قبور الأئمة والأولياء.

٣. تكفير معظم الصحابة ﷺ، وعموم أهل السنة.

٤. ادّعاء تحريف الصحابة للقرآن وأنَّ نصه الكامل موجود مع المهدي المنتظر.

٥. استحلال (التَّقِيَّة)، وربّما إيجابها، وهي الكذب لاتِّقاء خصومهم من أهل السنّة وغيرهم.

٦. اعتقادهم رجوع بعض الأموات إلى الحياة للانتقام ممَّن ظلمهم، وعلى رأسهم عليٌّ وابنه الحسين ﷺ.

٧. عودة مهديّهم المنتظَر.

مهدي الضَّلال ونهج الدَّمار:

يُعِدُّ الشيعة مخططاتٍ سياسيةً وعسكريةً استعدادًا لاستقبال المهدي المنتظَر، الغائب في سردابه لأكثر من ألف ومئتي عام؛ ليثأر من قَتَلة الحسين، ويحشدون لذلك كلَّ ميراث الغلِّ التاريخي ضدَّ أعدائهم من أهل السنّة، مثيرين بذلك الفتن والحروب التي تمهِّد لظهوره بعد طول زمن الانتظار. كما يزعمون خروج رجل اسمه (اليماني الموعود) ليهيِّئ لخروج المهدي، ويحارب أعداءه، ورجل آخر يدعى (الخراساني) الذي سيقاتل لتمكين خروجه.

مهام مهدي الضَّلالة عندما يخرج:

يجمع المهديُّ الشيعةَ -حسب مصادرهم- في مكان لا مكان لسواهم فيه؛ فيحكمهم وفق شريعة اليهود، ويقتل جميع العرب الأحياء، ويحيي موتى قريش ويعيد قتلهم، كما يقتل سَدَنة الكعبة، ويهدمها وينقل حجرها إلى مسجد الكوفة، ويكسر مباني مسجد المدينة، ويقيم الحدَّ على عائشة أم المؤمنين ﷺ، ويحيي موتى من أتباعه لينصروه، ويفني بمجيئه ثلثا البشر، ولا يبقى إلا أنصاره، ويتمنَّى مَنْ انتظروه أنَّهم لم يروه لكثرة سفكه للدماء!

> **يُعِدُّ الشيعة مخططاتٍ سياسيةً وعسكريةً استعدادًا لاستقبال «المهدي المنتظَر»، الذي سيحكمهم وفق شريعة اليهود، ويثأر من قَتَلة الحسين بقتل العرب، وإعادة قتل موتى قريش، وينقل أحجار الكعبة إلى مسجد الكوفة، ويكسر مساجد المدينة! ويحشدون لذلك كلَّ ميراث الغلِّ التاريخي ضدَّ أهل السنّة، مثيرين الفتن والحروب التي تمهِّد لظهوره**

معتقد أهل السنة في مهدي الحقّ والسنة:

بلغت الأحاديث التي ذكرت المهدي حدَّ التواتر، وهو من أشراط الساعة، يأتي ليملأ الأرض عدلاً كما مُلِئت جورًا، واسمه محمد بن عبد الله من نسل فاطمة، رجل صالح غير معصوم، مبدأ ظهوره في الشرق، ويُبايعه الناس في مكة بعد الكثير من القلاقل والفتن، يقيم الخلافة على نهج النبي ﷺ، وينزل في زمانه المسيح عليه السلام.

عقيدة التَّمهيد.. والممهِّدون المعاصرون:

سعى الخميني إلى بعث الثّقة في الشيعة من خلال ربطه بين الثورة الإيرانية وظهور المهدي، وتلاه في ذلك الخامنئي وأحمدي نجاد. ولم يقتصر الأمر على الممهِّدين الفرس، بل زاحمهم على ذلك الممهّدون من شيعة العرب، وعلى رأسهم مقتدى الصدر الذي سمَّى جماعته (الممهِّدون للمهدي)، وفي الآونة الأخيرة بدؤوا يروِّجون للممهِّد الأخير (الموعود اليماني) ويختلفون في مكان خروجه هل هو من اليمن أم من العراق؟ حتَّى ألّف رجل الدِّين الشيعي عليّ الكوراني العاملي كتابًا حول هذا الموضوع سمَّاه (اليمانيون قادمون) ليقنعوا أتباعهم بخرافتهم التي يستعلون بها على العالم كله.

قبور الأئمة.. مشاريع احتلال:

يبالغ الشيعة في تقديس مقامات وأضرحة أئمتهم وأوليائهم إلى درجة كبيرة، وفي عقائدهم أنّ زيارة قبر الحسين ﷺ تعدل مئة حجة مبرورة، ومئة عمرة متقبَّلة، وهم يبذلون من أجل حمايتها الروح، كما أكَّد على ذلك حسن روحاني في خطابه قائلاً: «إنَّ الشعب الإيراني سيقدِّم النَّفْسَ والنَّفيس دفاعًا عن مراقد الأئمة الأطهار»، وتتوزَّع قبور الأئمة بين النجف وكربلاء وبغداد وسامراء بالعراق، وبين البقيع وخراسان، ومصر أو الشام، ولا قيمة للمساجد الثلاثة الكبرى (الحرام - النبوي - الأقصى) عندهم؛ لأنَّها لا ترتبط بأئمتهم، بل إنَّ المسجد الأقصى في عقائدهم هو مسجدٌ موجودٌ في السماء الرابعة، ويفضِّلون مسجد الكوفة ومراقد أئمتهم عليه، ودعواهم الدفاع عن فلسطين والقدس والأقصى مجرّد شعارات لها غاياتها.

وبالتالي فإنَّ المشروع الشيعي لن يكون له أيُّ أهمية من دون السعي لفرض السيطرة على الأماكن المذكورة، ويعمدون في سبيل ذلك إلى تكفير أهل تلك البلاد الذين يسمُّونهم (النواصب) واستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم كما فعلوا في العراق وسوريا.

الفصل الثاني: الأبعاد الواقعية للمشروع الشيعي:

من إيران الصفوي إلى إيران الخميني:

آثر الشيعة انتظار المهدي وعدم تأسيس دولة لهم؛ وذلك لاعتقادهم أنَّ الفراغ الذي تسبَّب به غياب إمامهم الثاني عشر يجب ألا يملأه أحدٌ غيره، حتى جاء إسماعيل الصفوي الذي حكم إيران وحوّلها إلى المذهب الشيعي قسرًا عام ٩٠٧هـ، وعمل على محاربة الدولة العثمانية وعرقلة فتوحاتها والتحالف مع أعدائها.

بعد سقوط الدولة الصفوية بزمن عاد الشيعة للانتظار، حتى جاء قائد ثورة إيران (آية الله الخميني) قاطعًا هذا الانتظار، مطبِّقًا نظريته المسمَّاة (ولاية الفقيه) وتعني أنَّ الإمام الفقيه يمكن أن يقوم مقام الإمام الغائب، ودولته دولة ضرورة لحين خروج المهدي، وجعل رجال الدين في مقدِّمة حكومته، وفتح باب تصدير الثورة التي يمكن أن يلتحق بها كلُّ من يلتزم بمبدأ ولاية الفقيه؛ ليعارضه بعض شيعة العرب ويتابعه آخرون ومن أبرزهم (حسن نصر الله).

إيران الخامنئي.. من الدولة إلى الإمبراطورية:

عمل خامنئي بعد أن تولَّى منصب مرشد الثورة على الانتقال بثورة إيران إلى الخارج، مستخدمًا القوَّة الخشنة والناعمة؛ فاتجه بإيران نحو الإمبراطورية وتحقيق حلم (إيران الكبرى) الذي أصبح هدفًا استراتيجيًا لدولة شيعة الفرس.

وقد أثمر هذا التوجّه ما عُرف بـ (الخطة الخمسينية) وهي عبارة عن رسالة سرّية مسرّبة تدعو إلى التغلغل السلمي في دول الجوار التي بها كثافة شيعية عبر مراحل، أولها: تثبيت الوضع الداخلي في الدولة الإيرانية لحساب الجماهير المناصرة لولاية الفقيه، وثانيها: الترويج للمذهب الشيعي في دول الجوار، وثالثها: توثيق العلاقة بين أصحاب رؤوس الأموال الشيعة وكبار الموظفين في الدول المستهدَفة، ورابعها: تقديم المعونة للدول التي يحدث فيها قلاقل؛ لتظهر إيران بمظهر المنقِذ، وخامسها: التدخُّل في شؤون الدول المهيَّأة للثورة، وبذلك يتَّسع نفوذها وتزيد هيمنتها.

من الإمبراطورية إلى العالمية:

يرى محمد جواد لاريجاني أنَّ مشروع إيران يجب ألا يقف عند الإمبراطورية، بل يجب أن يتَّجه نحو (الإمامة العالمية)، بحيث تكون الدول المرتبطة بإيران تحت قيادة (أمِّ القرى) في طهران! وفلسفة لاريجاني في جعل (أمِّ القرى) في طهران بدلاً من مكَّة: أنّه من الممكن أن تكون (أمُّ القرى) لقوم ما في مدَّة ما، وبعد مدّة يسقط هذا الوصف لهم ولها!.

> **آثر الشيعة انتظار المهدي وعدم تأسيس دولة لهم، حتى جاء الخميني مطبِّقًا نظريته المسمَّاة (ولاية الفقيه)، وجعل رجال الدين في مقدِّمة حكومته، ثم عمل على الانتقال بثورة إيران إلى الخارج، مستخدمًا القوَّة الخشنة والناعمة؛ فاتجه بإيران نحو الإمبراطورية وتحقيق حلم (إيران الكبرى) الذي أصبح هدفًا استراتيجيًا لدولة شيعة الفرس**

الأبعاد الاعتقادية للمشروع الشيعي:

قام المشروع الشيعي الإيراني الفارسي على خرافاتٍ ما لبثت أن تحوَّلت إلى وقائع حقيقيةٍ متكاملةٍ مرتبطة بالمشروع السياسي، ولعلَّ أكثر ما بنى دعائم هذا المشروع هو الحقد التاريخي الذي يغذِّي هذا المشروع ويدعو للثأر من أعدائه مهما طال الزمن، إضافة إلى الاعتقاد الجازم بالمهدي المنتظر، والسعي لتعجيل ظهوره، والتقيّة، وتعظيم المقدّسات وحمايتها، وغير ذلك.

الأبعاد العنصرية للمشروع الشيعي:

الضغينة التي يحملها المشروع الشيعي الإيراني للعرب ممتدَّة منذ ما قبل الإسلام، وجاء الإسلام وعزَّز وجودها عندما أسقط إمبراطوريتهم، فكان معظم مَنْ دخل في الإسلام يبطنون النفاق، ويتحيّنون الثأر من العرب، لذلك تشيَّع منهم الكثير وانضموا تحت عباءة ابن سبأ، ومع ظهور الدولة الصفوية استعدَّ الكثير منهم للانتقام من العرب خصوصًا وأهل السنة عمومًا، وكذلك حَدَث بعد الثورة الإيرانية التي لم تعترف بالسنّة، ولم تقلِّدهم مناصب في الدولة الإيرانية، والتي لا تزال حتى اليوم تمارس سياستها العنصرية في كلِّ مكان ضدّهم.

الأبعاد السياسية والاستراتيجية للمشروع الشيعي:

تَعدُّ إيرانُ الدولَ المجاورة لها امتدادًا لمشروعها، ولإقامة كيانها السياسي تستخدم أسلوبين؛ الأول: استراتيجية خشنة استخدمتها في العراق واليمن وسوريا، الثاني: استراتيجية ناعمة استخدمتها في لبنان والبحرين من خلال إنشاء الحوزات والأنشطة الخيرية؛ لتمكين المذهب الشيعي، ولتنفيذ فكرة (أم القرى) والحزام الشيعي الذي يضمُّ إيران والعراق وسوريا ولبنان.

نوايا إيران النووية:

يهدف البرنامج النووي الإيراني إلى امتلاك (قنبلة نووية شيعية)، ويمثّل هذا البرنامج خطرًا على أمن الخليج والمنطقة العربية بخاصّة. وقد مرَّ المشروع النووي الإيراني بمراحل كثيرة حتى تمّ الاتفاق بين إيران والدول العظمى على الحدّ من تقدّم إيران في هذا المشروع، في مقابل رفع العقوبات عنها، وتمكينها من التسلّح. لكنّها ستبقى رغم ذلك «دولة نووية محتملة».

> **تَعدُّ إيرانُ الدولَ المجاورة لها امتدادًا لمشروعها، ولإقامة كيانها السياسي تستخدم أسلوبين؛ الأول: استراتيجية خشنة استخدمتها في العراق واليمن وسوريا، الثاني: استراتيجية ناعمة استخدمتها في لبنان والبحرين من خلال إنشاء الحوزات والأنشطة الخيرية؛ لتمكين المذهب الشيعي، ولتنفيذ فكرة (أم القرى) والحزام الشيعي الذي يضمُّ إيران والعراق وسوريا ولبنان**

مخاطر القدرات العسكرية الإيرانية:

تسعى إيران للتوسُّع وتحقيق مشروعها بشكل جامح؛ لذلك فهي تعتني بالتسلّح وتجري مناورات عسكرية ضخمة سنويًا، ولديها سيناريوهات متعددة للسيطرة على الخليج والدول المجاورة، لكنّها -وعلى الرغم من هذا الجموح- فإنّها محتاجة إلى عوامل ضبط تضمن لمشروعها الاستقرار والاستمرار، ولذا فإنّها تحاول الالتزام ببعض القواعد السياسية، ومنها:

بعض القواعد السياسية التي تحاول إيران الالتزام بها

- الإمساك بزمام الشعب الإيراني تحت قيادة سياسية قوية
- الضغط السياسي على دول المنطقة من خلال زعامات الطائفة الشيعية المتنفِّذة
- فرض رأي سياسي مؤثِّر في النظام الدولي
- محاولة تصدّر الواجهة السياسية في بعض القضايا المركزية كالقضية الفلسطينية
- الوقوف الصوري في وجه مشاريع الهيمنة الغربية

» الإمساك بزمام الشعب الإيراني تحت قيادة سياسية قوية ذات طبيعة طائفية لا تسمح بوجود تعدّدية من أيّ نوع.

» الضغط السياسي على الدول المجاورة من خلال زعامات الطائفة الشيعية المتنفِّذة فيها.

» فرض رأي سياسي مؤثِّر في النظام الدولي.

» محاولة تصدّر الواجهة السياسية في بعض القضايا المركزية بالمنطقة كالقضية الفلسطينية.

» الوقوف الصوري في وجه مشاريع الهيمنة الغربية.

الأبعاد الثقافية والإعلامية للمشروع الشيعي:

يعتمد الإعلام الشيعي على عدَّة استراتيجيات، أهمها اختراق الأوساط السنّية، والتوسُّع في نشر الدعوة الشيعية عن طريق المراكز الثقافية وغيرها من وسائل الإعلام، والانتشار الإعلامي من خلال القنوات الفضائية التي تسعى إلى تدمير مكونات الثقافة الإسلامية السنيّة.

موقع شيعة العرب من مشروع شيعة الفرس:

يتّفق الاثنان في الأصول الاعتقادية، وبُغضهم لأهل السنّة، ولكنَّهما يختلفان من باب التفاخر والتحاسد، فبينما يرى شيعة العرب أنَّ لهم أولوية الزعامة الدينية، لا يستطيع شيعة الفرس التخلُّص من احتقارهم للعرب، ومع ذلك فإنَّ شيعة العرب لا يفتؤون يقدِّمون ولاءهم المطلق لإيران قولاً وفعلاً! فلا يمكن فصل نشاط جماعة حزب الله أو الحوثيين عن مجمل أهداف المشروع الإيراني الفارسي.

الفصل الثالث: المشروع الإيراني واستكمال الهلال:

كيف تتحوَّل منظومة العقائد إلى برنامج عمل؟

تسعى إيران لتحقيق مشروعها من خلال: الاستقطاب المذهبي، والضمِّ السياسي، والتَّمكين الاستراتيجي، وتحاول عدم التصادم مع القوى الأخرى التي لها مصالح في المنطقة، بل تقاسم الغنيمة معهم، وغايتهم الأولى بلاد الحرمين الشريفين.

وتعتمد إيران (مبدأ التَّقِيَّة) في السياسة؛ ذلك لأنَّ مخططاتها غير معلنة، فهي تستفيد من كلِّ

المشروعات بشكلٍ مباشَرٍ أو بالشراكة أو من خلال النتائج، وتسعى إلى فصل أجزاء من مواطن أهل السنة التي فيها أكثرية شيعية، وهي لا تتردَّد في إيجاد فرصة لها في المواطن ذات الأكثرية السنية.

العراق في المشروع الإيراني:

يحتلُّ العراق مكانةً بارزةً في المشروع الإيراني، ويعود ذلك لمكانته التاريخية والجغرافية، ويدَّعي الشيعة أنَّ التشيع دخل العراق منذ دخول الإسلام؛ لذلك اتَّخذه عليٌّ ﷺ مقرًّا لحكمه، بعد أن فُرضت عليه الإقامة الجبرية، وبايع أبا بكر ﷺ بزعمهم مكرهًا، كما أنَّ الأماكن التي يقدسونها تتركَّز في العراق، وأولها النجف حيث مرقد عليٍّ ﷺ، وثانيها كربلاء حيث مقتل الحسين ﷺ، وثالثهما سامراء التي تضم قبري إمامين من أئمتهم، وبينهما سرداب مهديهم المنتظر.

أرادت إيران منذ عهد الخميني السيطرة على العراق، ونشبت بين الطرفين حربٌ دامت لمدة ثماني سنوات أنهكت البلدين اقتصاديًا وبشريًا، ثمَّ اتَّسعت هذه الحرب لتضمَّ دول الخليج التي كانت تسعى لإيقاف المدِّ الشيعي. وبعد احتلال أمريكا للعراق نُقلت السلطة من السنّة إلى الشيعة، وقُسّم العراق إلى ثلاثة أقسام: شيعي في الجنوب، وسنّي في الوسط، وكردي في الشمال؛ تمكّنت إيران حينها من إحكام سيطرتها على العراق والانطلاق منه إلى خارجه؛ لتنفيذ استراتيجية (الهلال الشيعي) الذي يحيط بجزيرة العرب مَقصدِهم النهائي.

> **تسعى إيران لتحقيق مشروعها من خلال: الاستقطاب المذهبي، والضمِّ السياسي، والتَّمكين الاستراتيجي، وتحاول عدم التصادم مع القوى الأخرى التي لها مصالح في المنطقة، بل تقاسم الغنيمة معهم، وغايتهم الأولى بلاد الحرمين الشريفين، وتعتمد (مبدأ التَّقِيَّة) في السياسة؛ فمخططاتها غير معلنة، وتستفيد من كلِّ المشروعات بشكلٍ مباشَرٍ أو بالشراكة أو من خلال النتائج**

بلاد الشام في المشروع الإيراني:

* **أولاً: سوريا:** المطامع الإيرانية في سوريا قديمة ترجع إلى ما قبل الثورة، وقد وجدت إيران في الطائفة النصيرية ضالّتها المنشودة للاتّكاء عليها في إيجاد مرتكز باطني يقوم عليه الجزء المتعلّق بالشام من مشروعها، فعملت على مساندة حكم (حافظ الأسد)، ودعمت (بشّار) في حربه على الغالبية السنّية، وساهمت معه في تشريد السوريين ودفعهم للهجرة من بلادهم، وإحلال شيعةٍ من إيران وأفغانستان وغيرهما مكانهم؛ بما يمكن أن يغيّر التركيبة السكّانية فيجعل الشيعة أكثرية والسنّة أقليّة في المناطق الحيوية. إضافة إلى استعدادها -عند طرح مشروع تقسيم سوريا- للدفاع عن حقّ النصيرية في دولة مستقلّة على الساحل؛ تكون مدينةً لها بالبقاء وضامنة لاستمرار نفوذها على جزء من بلاد الشام.
* **ثانيًا: لبنان:** تعدّ حركة (حزب الله) بقيادة (حسن نصر الله) أكبر عون لإيران في تنفيذ مخططها من خلال: العمل على تمكين الشيعة في لبنان، والعمل على إضعاف السنّة سياسيًا والقضاء على زعاماتهم، والتعاون مع نظام الأسد في جرائمه ضد سنّة سوريا، ومحاولة الظهور -بتوجيه من إيران- في واجهة الصراع مع إسرائيل وتصدّر أعمال المقاومة ضدّها، رغم الوعود المتكررة التي يطلقها (نصر الله) بحماية حدود إسرائيل.
* **ثالثًا: الأردن:** عمل الإيرانيون على استغلال الشيعة الذين فرُّوا من حرب العراق؛ لنشر المعتقد الشيعي، فأقاموا مشاريع اقتصادية لاقت تسهيلات من الحكومة الأردنية، وطالبوا بإنشاء حسينيات؛ لمواصلة مهمتهم في التبشير، معتمدين على عنصر الزمن لجني النتائج.
* **رابعًا: فلسطين:** «اليوم إيران وغدًا فلسطين» شعار الخميني الذي سعى من خلاله إلى تسويق أفكار الشيعة في فلسطين، فأنشأت إيران «المجلس الشيعي الأعلى» في فلسطين الذي أغلق بسبب معارضة الفلسطينيين الذين أدركوا خطر المد الشيعي، ولكنّ ذلك لم يقف في وجه محاولاتهم الدائبة لاختراق الساحة الفلسطينية مذهبيًا عن طريق الترويج لدعاية أنّ إيران أكبر داعم للمقاومة الفلسطينية، والحفاوة المبالغ بها بالرموز الفلسطينية وتقديم الدعم المادي والمعنوي الصوري لهم، وقد أثمر هذا عددًا من المكاسب أهمّها: إشادة كثير من القادة

الفلسطينيين بإيران ودعمها سياسيًا، وتأثّر حركة (الجهاد الإسلامي) بالشيعة بل وإظهار بعض قادتها تشيّعهم علنًا.

مصر في المشروع الإيراني:

لمصر أهمّية عند الشيعة، ففيها مراقد لبعض أهل البيت، كما أنّها وجهة المهدي المنتظر بحسب عقيدتهم؛ لذا فهم يتطلّعون إلى مدّ نفوذهم فيها؛ لكن محاولاتهم باءت بالفشل، وقوبلوا بالرفض على الصعيدين الرسمي والشعبي، ولكنَّ التبشير الشيعي لا يترك وسيلة إلا واستخدمها، مستغلاً جهل بعض الناس وحاجتهم.

الفصل الرابع: جزيرة العرب.. الغاية والنهاية:

جزيرة العرب.. وثلاثية العداء:

المشروع الإيراني المعادي للسنّة قائم على ثلاثية العداء الطائفي والازدراء العنصري والطمع المادي، وهذه العناصر تتجمّع أسبابها في جزيرة العرب، وبما أنّ دول الخليج بها أكبر كثافة سكانية شيعية بعد إيران والعراق فالمشروع الإيراني يستهدفها ويركّز عليها.

عوامل أهمية منطقة الخليج العربي في المشروع الإيراني:

- **سياسيًا:** تعطي السيطرة على المنطقة لإيران حضورًا عالميًا، فهي محطُّ أطماع القوى الغربية نظرًا لثروتها وموقعها الاستراتيجي.
- **اقتصاديًا:** فدول الخليج أغنى مناطق العالم بالنفط، وفيها أهم الممرات التجارية العالمية.
- **عسكريًا:** تشكّل دول الخليج خطَّ دفاع متقدّمٍ يحمي الحدود الإيرانية.

اليمن في المشروع الإيراني:

ظهر التشيّع في اليمن في وقت مبكّر على المذهب الزيدي، وهو أقلّ غلوًّا من المذهب الاثني عشري. وعندما شكّلت دول الخليج (مجلس التعاون الخليجي) لمواجهة أطماع إيران ولم تُدخِل اليمن معها؛ استغلّت إيران ذلك، وتوجّهت إلى اليمن لتجعلها منفذًا لها إلى بقية جزيرة العرب وبوابةً للوصول إلى الحرمين الشريفين، وتسيطر من خلالها على مضيق باب المندب؛ فعملت على استقطاب رموز الشيعة الزيدية، وتحريضهم للتحوُّل للمذهب الاثني عشرية؛ فاستجاب الحوثيون الذين أصبحوا أداة إيران في اليمن، وشاركوا في ثورة ٢٠١١م ثم انقلبوا على المعارضة واستولوا على العاصمة صنعاء والكثير من المدن اليمنية.

البحرين في المشروع الإيراني:

تعدّ إيرانُ البحرينَ أرضًا إيرانية من الناحية التاريخية، ويساعدها في أطماعها أنّ بها كثافة شيعية وإن كانت عربيّة، وكان الخميني عازمًا على غزوها وضمِّها إلى إيران، ولكنَّ هذا الغزو لم يكتب له النجاح بسبب نشوب حرب الخليج الأولى.

تسعى إيران لإيجاد ما يسمّى (البحرين الكبرى) والتي تضمّ (الكويت، والبحرين، الإمارات العربية، وقطر، المنطقة الشرقية من السعودية) لتكون رديفة عربية شيعية لـ (إيران الكبرى) الفارسية، وبهذا تتمكّن من خدمة مشروعها، ومحاصرة الجزيرة العربية والتمكُّن من مقدّساتها وثرواتها.

> **مطلب إيران في الحرمين يُختصر في شعار (تدويل الحرمين)، ويقصد به تحرير الحرمين من السنّة، وجعلهما تحت إدارة مشتركة من عدّة دول، بحيث يكون للشيعة وغيرهم حرّيتهم في تسيير شؤونهم العبادية والشعائرية، وهذا يعني: أن يُشرك بالله باسم حرية ممارسة العبادة، وأن يُجهر بلعن الخلفاء الثلاثة، ويُستعلن بمشاهد اللطميات والنواح والندب**

(تدويل الحرمين).. سُعار في شعار:

مطلب إيران في الحرمين يُختصر في شعار (تدويل الحرمين)، ويقصد به تحرير الحرمين من السنّة، وجعلهما تحت إدارة مشتركة من عدّة دول، بحيث يكون للشيعة وغلاة الصوفية وغيرهم حرّيتهم في تسيير شؤونهم العبادية والشعائرية، وهذا يعني: أن يُشرك بالله باسم حرية ممارسة العبادة، وأن يُجهر بلعن الخلفاء الثلاثة، ويُستعلن بمشاهد اللطميات والنواح والندب، وليس بعيدًا أن نرى الفسوق والفجور والدعارة التي يتمُّ الترويج لها باسم (زواج المتعة). وإيران لا تكلّ من تكرار هذا المطلب في كلِّ مَحْفَل، وافتعال الحوادث

والكوارث في مواسم الحج؛ للتأكيد على أنَّ سدنة الحرمين غير جديرين بهذه المهمة.

وإلى جانب الدوافع الاعتقادية للسيطرة على الحرمين هناك أسباب اقتصادية؛ فالسعودية من أكثر المناطق غنىً بالنفط في العالم، وهي تتركَّز بالمنطقة الشرقية ذات الأكثرية الشيعية، ولذلك يهدف شيعة إيران وشيعة العرب إلى تحرير هذه المنطقة لتصبح كيانًا مستقلّاً تتحكَّم إيران به وبمقدراته.

والصراع بين السنّة والشيعة ليس صراعًا سياسيًا تتحكَّم به مفاوضات ومعاهدات، بل هي حربٌ دينيةٌ مذهبيةٌ لن تنتهي إلا بنهاية أحد الطرفين، لذلك فإنَّ رموز السياسة الإيرانيين لا يفتؤون يهدِّدون خصومهم، كالتهديد الذي وجَّهه (قاسم سليماني) للسعودية بسبب تدخُّلها في اليمن، وغيرها من التهديدات التي جاءت على ألسنة قادتهم والتي تهدف لخدمة مذهبهم وتسعى لانتشاره.

السعودية.. الهدف الاستراتيجي:

تهدف الدول العظمى إلى تقسيم المنطقة المحيطة بفلسطين بغرض حماية إسرائيل، وكانت أولى الخطوات إلى التقسيم: غزو العراق ردًّا على احتلال الكويت، قال (لوران مورافيتش) الباحث في معهد راند للأبحاث الاستراتيجية في تقرير ما يبيت للمنطقة: «إنَّ الحرب على العراق مجرَّد خطوة تكتيكية ستغيِّر وجه الشرق الأوسط والعالم، أمَّا السعودية فهي هدف استراتيجي، وأمَّا مصر فهي الجائزة الكبرى في نهاية الطريق».

وفي سبيل إتمام هذه المخططات فإنّ الدول العظمى تستغلّ إيران وتدعمها في مساعيها للقضاء على ما يسمّى (الإسلام السياسي السنّي) في المنطقة لأنّه يشكّل بالنسبة لهم خطرًا حقيقيًا والصراع معه صراع وجود ومصير، في حين إنّ الخلاف مع إيران أو ما يسمّونه (الإسلام السياسي الشيعي) هو خلاف تكتيكيٌ مؤقّتٌ ومحدود. وهذا لا يعني أن إيران والغرب سيكونون أصفياء متحابّين؛ فالصراع بينهما تاريخي (صراع الروم والفرس)، وسيأتي اليوم الذي يبدأ فيه الطرفان بتصفية الحسابات فيما بينهم.

سيناريو الصدام.. ماذا سيحدث حينها:

تحاول إيران تنفيذ مشروعها بسرعة جامحة، تدفع أمريكا والدول الأوربية للحاق بها خوفًا على مصالحهم في المنطقة، وخشية استفراد إيران بالغنيمة كلِّها، وكما استنفرت أمريكا العالم الإسلامي لإسقاط الاتحاد السوفيتي ستستنفرهم لمواجهة خطر الامتداد الشيعي الذي يستهدف أرض أقدس المقدسات وثرواتها.

يتوقَّع المحللون الاستراتيجيون قيام حرب إقليمية طائفية تُساق إليها المنطقة، فاتفاق (لوزان) بشأن البرنامج النووي الإيراني ليس إلا توريطًا لإيران والبلدان السنّية التي ستنهمك في حرب يدمِّر كلٌّ منهما الآخر، لتتدخَّل أمريكا والكيان الصهيوني؛ ليجهزا على ما تبقَّى منهما، وتبقى ورقتهما الورقة الرابحة.

خاتمة:

تساند القوى الخارجية المعادية والقوى الداخلية المداهنة المشروع الإيراني الشيعي، ولن يكبح جموح هذا المشروع إلا قيام مشروع سنيٍّ شامل يقوده رجال يواجهون المنهج الباطل بالحق والعدل، فيكونوا هم المنتصرين، كما يقول الله تعالى في محكم آياته: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

العضوان المتلازمان.. محورا صلاح البدن

أحمد خالد أحمد

من صلاح القلب واستقامته ترفُّع اللسان عن كثرة القيل والقال والانشغال بنقل الأخبار، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) أخرجه أحمد.

كذا انشغال اللسان بالذّكر وقراءة القرآن دليلٌ على صفاء السَّريرة، عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ: (ألا وإنَّ في الجسد مضغةً إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب) أخرجه البخاري.

فالقلب واللسان محوران مهمان لاستقامة وصلاح سائر الأعضاء، وكلٌّ منهما مرتبطٌ بالآخر..

ومدرسة الصيام خير ما يدرِّب المسلم على ضبط لسانه؛ امتثالاً لوصية النبي ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) أخرجه البخاري ، فينعكس ذلك على القلب صفاءً وجودًا ونقاءً.

فهنيئًا لمن استفاد مِن هذه المدرسة التربوية الإيمانية العظيمة..

رمضان الحرب والمجاعة

ضحى عرفات

بينما يُحيي المسلمون شهر رمضان في أجواء من البهجة والفرح، تتواصل الحروب والمجاعة في غزة وسوريا، والصوم عندهم بدأ منذ سنوات..

أنت تصوم من الفجر حتى المغرب بين أهلك وعائلتك في بلد آمن، وقد تشكو من الجوع والتعب وأحيانًا تصل إلى مرحلة الضجر، كل ذلك وأنت تعلم أن لديك طعامًا وشرابًا ستتناوله بعد صيامك. فما بالك بالذين يعيشون بين الدمار والدماء وسقفهم السماء لم يبق لهم مأوى يحميهم، ويصومون أيامًا ولياليَ عديدة ولا يعلمون متى يحصلون على طعام.

الجميع يتباهى بأطفاله أنهم يصومون في سن صغير، ولكن في سوريا وغزة حتى الرضيع يصوم.

ولا ننسى قول النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، أخرجه البخاري.

اللهم لا ينقضي رمضان إلا وسوريا وغزة مجبورتان منصورتان، مفتوح عليهما بركات السماء والأرض، اللهم احفظ أهلهم وردهم إلى ديارهم وهم في أفضل حال.

رمضان.. موسم أمة الجسد الواحد

معاوية الجندي

يأتي شهر رمضان المبارك على المسلمين بعد شوق وانتظار، يترقبه الجميع ويختلفون بالتفاعل معه كلٌ بحسب قدرته، فمنهم الموسرون ومنهم غير ذلك.

هناك اختلاف آخر في تفاعل الناس مع رمضان. هذا الاختلاف منبعه نفسي عاطفي وجداني، تفرضه أقدار الله على البشر. عند دخول رمضان ترى الأعمّ الأغلب من الناس مبتهجًا سعيدًا يبارك للقريب والبعيد دخوله، ينتظره بلهفة وشوق، تمر أيامه عليه خفيفة سعيدة ولياليه جميلة مبهجة. وفي الطرف المقابل هناك آخرون فقدوا أحبابهم قبيل رمضان يتكلّفون الابتسام تكلفًا ويحاولون إظهار الفرح -إجلالاً للمناسبة- أمام الآخرين وقد لا ينجحون. قلوبهم مكلومة ونفوسهم متعبة، أفكارهم كجوارحهم صارت مقيدة بقيد العجز والاستسلام لقدر الله. تنهال عليهم ذكريات فقيدهم مع رمضان، فهذا طبقه المفضل وشرابه الذي يحب، وذاك مكان جلوسه إلى مائدة الإفطار. كم كان يصلي من التراويح وكم يقرأ من القرآن. تمر أيامهم ثقيلة ولياليهم طويلة، وقلوبهم تعالج هذه الذكريات فتتألم وتتأذّى.

هنيئًا لكل من تفقَّد أخًا من إخوانه فقد عزيزًا فواساه، وتعاهده بالزيارة والدعاء حاضرًا وفي ظهر الغيب، لعل الله يجبر كسره ويشفي نفسه. فنحن أمة التوادّ والتراحم، نحن أمة الجسد الواحد.

شهر الرحمات ونسائم البركات

محمد غزال

في هذه الأيام.. ينزل علينا ضيف القلوب والأرواح، شهر رمضان المبارك؛ تتغير حياتنا وتتزين بالنور والبركات، وكأن السماء قد فَتحت أبوابها لتنزُّل الملائكة المباركين، يحملون معهم أجنحة السلام والسعادة؛ ففي شهر الرحمات، تعيش القلوب حالة من الانتظار مفعمةً بالرغبة في التقرُّب من الله؛ يُرفرف في الهواء عبق التوبة، وتتساقط قطرات الدموع كندًى على وجنات المـــؤمنين، يعبقون برائحة الاستسلام والخضوع؛ فرمضان ليس شهر صيام البطن فحسب، بل هو فترة لتطهير الروح والنفس؛ يدعونا إلى التأمُّل في حياتنا والسعي نحو الأفضل، هو فرصةٌ للنمو الروحي والاقتراب من الله بقلوبٍ خاشعة وأرواحٍ مطمئنة؛ ففي أمسياته، تلتفُّ الأنفاس حول نورِ الشموع في المساجد، يُحيط بالمؤمنين أثواب الخشوع والتأمل، يستمعون إلى تلاوة القرآن الكريم، لتنزل كلمات الله كالنسمات العذبة على قلوبهم.

وعند غروب شمس كل يوم تجتمع الأُسَر في هذا الوقت المبارك على مائدة الطعام، يجتمعون ليخلقوا جوًا دافئًا ومليئًا بالمحبة، وفي تلك اللحظات ينعكس رونق التواصل والتراحم بين الناس، حيث يُشاركون ببساطة وفرح فيما بينهم وكأنهم مجتمعون على مائدةٍ واحدة.

فاتحة سَنَة الأعمال

محمد مصطفى عبد المجيد

ممّا ذكره النبيُّ ﷺ في تخصيصه شهر شعبان بالصيام: (ذاك شهر تُرفع فيه الأعمال إلى الله، فأحب أن يُرفع عملي وأنا صائم)، فشعبان هو شهر الرفع السنويّ لأعمال بني آدم، وبهذا الاعتبار فهو آخر شهور (سنة الأعمال)، ثم يأتي بعده شهر رمضان ليكون فاتحة هذه السنة.

فيفتتح المؤمن سنةَ أعماله بنفحات رمضان وبركاته، ويخرج منه مغفور الذنب إن صامَه إيمانًا واحتسابًا، فيبدأ سنةَ عملِه مطهّرًا من الذنوب، لا ليوصِد أبواب الطاعات مع هلال شوال؛ بل ليكون رمضانُ بدايةَ صلاحٍ وفلاحٍ وإحسانٍ في سائر العام.

فرقٌ بين مَن اعتبر رمضان محطة مؤقَّتة يمرُّ بها، ومَن اعتبره منطلقًا لعام جديد، وبدايةَ صفحةٍ جديدةٍ في طريق سيره إلى الله؛ فرقٌ كبير في إعداد العُدّة، وتصحيح القصد، وإحسان العمل.

شَعَثُ الروح

إسلام عفيفي

يكشف لك رمضان عن سبب شعث الروح، وأن المرء حين يظن أنه يسعى في ترتيب أموره ومساعيه ثم هو يترك الفوضى تعصف بقلبه أنه حينئذ يتعلق بالسراب؛ فلا طابت نفسه، ولا استقام أمره، ولا شيء يعدل خلوص القلب لله، وسلامته من غيره!

حين تصفي قلبك من شعثه، وتخلي سعيك من كل إرادة إلا إرادة الحق، وتشرق في نفسك أنوار الوحي، وتغذو قلبك من رياض الذكر؛ يتكشف لك الحق جليًا، وتعلم حينها أي غبن كنت فيه.

تلك اللحظة التي تسكن فيها نفسك وتطمئن أن كل سعي في الأوهام كان عبثًا، وأن لطف الله بك كان في درك السراب بعد قطع صحراء التيه، وأن كل ظن لسكون القلب في غيره كان وهمًا، وأنك تخطئ كل مرة ترتب فيها أولوياتك بعيدًا عن تصحيح سيرك وتصفية قلبك وتنقية رؤيتك، وأن روحك حين تعرى فتخطئ سترها، تخصف عليها ما يزيدها خرقًا وفتقًا! وأنه ما كان سبب تكشّف عوارها إلا بَذْلك نفسَك إلى غيره.

اللهم لا حول ولا قوة إلا بك، ولا هادي إلا أنت.

استراحةٌ مِن الضَّجيج

زكريا الحمد

عجلة الحياة سريعة وإيقاع مرورها أسرع، تصطخب الأصوات المختلفة المختلطة في أذنها، وتتداخل الألوان ببريقها وتنوع مصادرها وهي تشغل البال والخاطر، تعكر المزاج أحيانًا، وتبهج النفس مرات أخرى، تشغل الإنسان عن غايته وتعيقه زمنًا، تلهمه فكرةً وتوحي له بما يرجع عليه بالفائدة أزمانًا أخرى.

في هذه الدوامة التي تبتلع الوقت وتستهلك الجهد، تبعثر الأفكار وتطيح بالتركيز، ما أحوج الإنسان إلى زاوية هادئةٍ وركنٍ بعيد عن هذه الضوضاء المدنيَّة، ينجز فيها شيئًا، يستلهم فكرة، يتم فيها نقصًا، يحادث فيها نفسه ويخلو بفؤاده، يرافقه فيها عقله وقلبه، وأوراق بين يديه من كتاب محبب أو مجلة متميزة، يطالع فيها عقول الآخرين يضمها إلى عقله، يناجي أرواحهم، وينصت إلى هَمسِ بَوحِهم رغم اختلاف الزمن، وربما اختلاف اللغات والبيئات، أو لو لم يجد كتابًا يتمنَّى لو أنه رزق بِخِلٍّ وفيٍّ ذكيٍّ طيبِ النفس وقّاد الذهن، طيب القلب يتطارح معه شيئًا من الحديث يخرج به عن معترك الحياة ومشاكلها ومشاغلها بما يشرق به لبه ويضيء جوانب روحه، على قول القائل:

وما بـقيَـتْ مـن اللـذّات إلا
محادثة الرجال ذَوي العقول

فيمَ أُنزلت؟

عبد المجيد بدوي

أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ منجَّمًا، واحتفّ بنزول بعضِه أسبابٌ اصطلح عليها المفسرون بأسباب النزول، ونحن مع استقبالنا شهر القرآن يجدر بنا أن نعتني بأسباب النزول فنقرأ طرفًا منها، فذلك مما يُعيننا على فهم النص، صحيحٌ أن المـفسِّرين قعّدوا أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكنَّ معرفة السبب تلقي ضوءًا على النص المراد فهمه.

والمـثال يوضح الأمر، كثيرًا ما نقرأ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، عن البَرَاء رضي الله عنه يَقُولُ: «نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قِبَلِ أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبَلِ بابه، فكأنه عُيِّرَ بذلك، فنزلت»[1].

فلا غرابة ألا يتبادر المعنى من الآية إلى الذهن بمجرد قراءتها؛ إذ درست هذه العادة بنزول هذا النص، وبقي أثرها في سبب النزول.

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٣).

إذْ تَلقَّونَه بألسِنَتِكم

د.خير الله طالب

تأخرت عائشة ﵂ عن الجيش لحاجة فارتحل دونها، فلحقت بهم على راحلة الصحابي المكلف بتفقد المتأخرين[1]، فنفخ المنافقون بإفك أرهق أطهر القلوب على وجه الأرض، حتى شهد الله تعالى ببراءتهما ﵎. لكن الأخطر خوض أفراد من المسلمين في القصة بلا بينة، فكان عقابهم وعتابهم شديدًا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤-١٥].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ يستقبله بعضكم بآلة الكلام دون آلة الفهم والتعقل، وكأنه يسمع بلسانه، ولا همّ له إلا في التكلم، ثم تطير الكلمة فلا يسهُل اصطيادها، ترسم في القلوب صورةً يصعُب تغييرها. ولذا يعتمد الخائنون بثّ الإشاعات، يمزِّقون بها أكباد الأطهار، يتلقفها ناشط غيور يفترض في مثله أن يضع نفسه مكان أخيه المتهم فيقول: «سبحانك هذا بهتان عظيم».

خوض الألسنة منحدرٌ زَلِق، وغَيهَبٌ مظلم، من دخل فيه قلّ أن يسلم، ولذا لاذ الصالحون بالصمت وورع اللسان وكسوة الألفاظ، واعتنوا بحماية أنفسهم من التباس نصرة الدين بإرضاء النفس وشهوة انتقامها من أقرانها ومنافسيها، أو من خصومها بغير حق. وإنه لعسيرٌ على النفس أن تعامل غيرها بالعدل، وخاصة مَن تنافسهم أو تكرههم، فكيف بمن تعاديهم.

يسهر العاملون عشرات السنين في بناء الرجال والمشاريع وتأليف القلوب وتصحيح المفاهيم، ويأتي متكئ على أريكته يبثّ تهمةً موتورةً تهدم في عيون كثيرين ما بناه أولئك، فيكفّ الباذلون، ويتشكك البعيدون، وينصرف بعض الأنصار خشية أن تلحقهم التهمة. وفي المقابل يبرز «نجم» لا تدري تاريخه ولا أرومته ولا حقيقته، فيتشبع بما لم يُعط، ويدعي ما ليس له، فتتجه إليه أنظار وأموال. ويقول الناس للأول: ألا فعلت كما فعل فلان! جاهلين بثقل الصدق وشجوى العمل وخفّة الكذب ورخص الادعاء.

ما عمل في خدمة الناس أحد بصدق -والله أعلم بالصادقين- إلا كانت حقيقته ومنجزاته أكبر من صورته وسمعته التي يعرفها الناس؛ لأنه منهمك في خدمة الناس لا في إشهار نفسه أو الدفاع عنها. أما المـــفسد فقد شغل نفسه بإظهار نفسه وإشهارها، ورمي الصادقين بالتهم الأفّاكة، حتى ينفر الناس عنهم، لأجل أن تستمر الخديعة بمن يقهرون الناس ويصادرون أرزاقهم وحرياتهم، وينصره في ذلك من يتلقى الكلام دون تمحيص ولا تثبّت فينشره ويبثه.

لله أناس علموا أن لا نجاة إلا لصادق، فلزموا الصدق دون التفات لبهرج الأدعياء، ولازموا الصادقين ولو شتمهم الناس، ومحّصوا الأخبار فلم يقبلوا ثناء رجل على نفسه، وخاصة إذا كثر الطعن فيه مِن ثقات أهل الميدان والثغر، ولم يسمحوا لناشئ بالتطاول على كبير، ولم يتعجلوا نفي ما لا علم لهم به، وتوقفوا حينما تختلط عليهم الأمور؛ لئلا يفرطوا فيما ائتمنهم الله عليه من مال وجاه وعلم.

قتل عثمان ﵁ بإشاعة كلام، وثارت معارك واحتلت بلدان بفلتات لسان، وتعطلت أعمال بكلمة حائفة، وهُجرت عقول بتقويم متعجل جائر. فلا يجوز للمرء أن يحدث بكل ما سمع أو قرأ حذرًا من الكذب والإثم، ولا أن يوظف نفسه إذاعة لنشر الأخبار، ولا أن يجعل من نفسه قاضيًا يصدر الأحكام على الناس، فإن الوظيفة الأولى للعلم إنما هي العمل لا النقل، ثم يأتي التبليغ والتعليم بعد العمل.

عضو صغير شأنه خطير وجُرمه كبير، وصدق ابن مسعود ﵁: «والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان»[2]. وما يسجن اللسان مثل العقل المتفكر، والفكر الناقد المتفحص، والقلب اليقظ الأسيف على حسناته وإيمانه.

(١) هو الصحابي الجليل صفوان بن المعطّل السلميّ رضي الله عنه، وقصة الإفك في البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٢٨٥٨).

رواء

ترحب مجلة رواء بمقالاتكم العلمية والفكرية

ضمن المحاور الأساسية للمجلة

ويشترط ألا يزيد حجم المادة المرسلة عن ٣٠٠٠ كلمة، وأن تكون المادة مكتوبة أصالة للمجلة وغير منشورة من قبل، وأن تراعى فيها سياسات النشر في المجلة

كما ترحب المجلة بخواطركم القصيرة ضمن زاوية (بأقلام القراء)

ترسل المقالات والمواد إلى البريد الإلكتروني:
rawaa@islamicsham.org

rawaamagazine

www.rawaamagazine.com